تنبيــه هــام: إن هـذه الجـريـدة تتضمـن آيـات من القـرآن الكـريم فـالواجـب عـدم امتهـانـهـا

قال سبحانه وتعالى:

«قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ»

يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 06 ـ 01 ذي الحجة 1426 هـ الموافق لـ 01 يناير 2006 م ـ الثمن 5 دراهم

تهميش دور الدين في محاربة داء "السيدا" مظهر من مظاهر العداء العلماني

التمايز مظهر طبيعي جبل الله سبحانه خلقه عليه فجعله منه الذكر والأنثى والإنسان والحيوان والجامد والمتحرك والليل والنهار، فبتمايز الأشياء يعرف هذا من ذاك، وكما قيل: "بضدها تعرف الأشياء"، والأمر ليس مقصورا على الأشياء المادية وإنما يتعداها إلى المفاهيم والقيم، فلا يعرف الخبيث إلا بالطيب، ولا الخير إلا بالشر.

ورغم وضوح هذه المسلمة إلا أنك تجد من الناس من يأمل أن يصبح الخلق على قلب رجل واحد، عربيهم وعجميهم مسلمهم وكافرهم، يدعون إلى الأنسة والكونية، يمارسون هواية الخلط والخبط، ولا يعجبهم التمحيص والضبط، وينشرون في الناس باسم الفكر والفلسفة، أن ليس هناك حقيقة مطلقة، وكل شيء نسبي، فما على الإنسان بأس إن هو خالف ما يحسبه الناس حقيقة مطلقة سواء كان دينا أو عرفا، فالحق المطلق الوحيد الفريد هو،حرية الإنسان"، وما دونه نسبي ليس لأحد أن يلزم به شخصا غيره.

- تتمة صفحة: 4

. ملف العدد .

الأســـرة

تقرؤون في هذا الملف:

التطرف بين الثقافة والسياسة عند الآخر

الأصولية المسيحية نموذجا

(الحلقة الرابعة)

الإنفتاح والتعايش

لا أحد يناقش أو يشكك في أهمية الانفتاح والتعايش في تحقيق الأمن والأمان، لكن هذين المصطلحين ككل المصطلحات التي تهم توجيه وتأطير المجتمعات الإنسانية رهينة بمرجعية مَن يوظفها، خصوصا في هذا الزمن الذي تعيش فيه الأمة حالة من الذل والهوان والاستضعاف، لم يسبق لها أن عرفتها رغم الأحداث العظام والوقائع الجسام التي مرت بها.

وكثيرا ما يأخذ ذانك المصطلحان معنى التبعية والذوبان، فدعاة الانفتاح والتعايش في زمننا هذا هم في الوقت نفسه دعاة التغريب ورفع القدسية عن الدين وتحطيم مقومات الهوية، واستبدالها بالأنسنة والكونية بغية عولمة النموذج الغربي مُرَوِّجين لمصطلحات تحمل كل معاني التبعية بل الانمحاء في الآخر الذي هو عندهم بالتحديد: الغرب.

من هنا كان الاحتراز والتريث في استعمال مثل هذه المصطحات واجبا على كل مَن يُسهِم في توجيه الأمة نحو التخلص من براثن التخلف، أو يشارك في تحديد وتشخيص أمراضها، وذلك حتى لا يَسقط -من حيث لا يشعر- في التغرير بأبنائها وجعلهم يعتقدون أن اعتقاد ثقافة الانفتاح والتعايش بحمولتهما العلمانية، لا يتعارض مع أحكام الإسلام، فيخدم بذلك مخططات العلمانية في ترويض عقول الناس حتى يقبلوا بهيمنة النموذج الغربي في حياتهم.

إن تسريب المفاهيم والقناعات المخالفة للمرجعية الإسلامية لمجتمعنا يتم عبر ترويج عدة مصطلحات لها أصل في ديننا من حيث المبدأ إلا أنه يتم تحميلها دلالاتٍ غربية مخالفة لأحكام ديننا الحنيف، يقصد من ورائها العلمانيون تهيئة البيئة المغربية لاستقبال العلمانية ومبادئها المتفلتة من أحكام الشريعة الإسلامية مستغلين أبشع استغلال كل فرصة أو نشاط أو تظاهرة (الحرب على الارهاب، محاربة داء السيدا ،محاربة الأمية، وضعية الأطفال المشردين، العنف ضد النساء، التحرش الجنسي ضد الأطفال).. مستفيدين من النفوذ القوي الذي أصبح يحظى به أغلب العلمانيين ذوي الثقافة التغريبية على مستوى الوزارات والمؤسسات المالية والتجارية، والثقافية ومؤسسات "المجتمع المدني" بعد إقصاء العلماء وتهميش دورهم في تأطير وتوجيه المجتمع المسلم.

”كلمة العدد“

إن الدول الغربية في حروبها المختلفة ضد البلاد الإسلامية تحقق من خلال ما تروّجه من أفكار ومفاهيم أكثر مما تحققه بالدبابات والصواريخ، كما صرح بذلك قاداتها، وهذا ما يفسر تخصيص الولايات المتحدة الأمريكية ملايين الدولارات من أجل تحسين صورتها لدى المسلمين، وذلك من خلال إنشائها للقنوات الفضائية كقناة "الحرة" وراديو "سوا".

إلا أن حرب المفاهيم ليست حديثة بل تمشي جنبا إلى جنب مع حرب الدبابات، فكل الغزاة لبلاد المسلمين عبر التاريخ سواء الأوربيين أوالأمريكيين يصرحون دوما بأنهم جاؤوا لتمدين شعوبنا ودمقرطة أنظمتنا، ولا يخفى الدور الحاسم الذي لعبه المستشرقون قبيل الغزو الامبريالي الأوربي والأمريكي في آخر القرن 19 وبداية القرن 20 والذي كان أغلبه فكريا لكنه أنتج لأغراض عسكرية استعمارية اعتمدتها جيوش أوربا في حملتها الاستعمارية ضد الدول الإسلامية.

إن الباحث يتفاجأ عندما يكتشف أن أغلب كتب الفرق الضالة كالقرامطة والحشاشين والشيعة الروافض والمعتزلة وكل الطوائف الباطنية إنما أخرجها من غياهب النسيان وأحلها أعلى المراتب في حياتنا الثقافية أولائك المستشرقون المنصرون متخفين وراء "البحث العلمي" وذلك بغية إغراق الثقافة الإسلامية بخزعبلات وترهات وبدع وأباطيل تلك الفرق، مما يجعل أبناء المسلمين يتقبلونها جزءا من تاريخ الإسلام وثقافته، فتحجب عنهم نور الكتاب والسنة وهدي سلف هذه الأمة، الشيء الذي يجعلهم ينظرون إلى دينهم وهويتهم نظرة ازدراء واحتقار.

”وإذا ما استقر هذا الاحساس واستحكمت هذه النظرة من شخصية المسلم، قدم له العلمانيون المنهزمون نفسيا النموذج الغربي كمخلص من التاريخ المظلم والواقع المؤلم، ونمقوا له العبارة وزخرفوا له الكلمات، وصوروا له أن الخلاص في أن يَلْبَس كالغربي ويأكل كالغربي ويُفكر كالغربي ويدرس ما يدرس الغربي ويعتقد ما يعتقد الغربي ويفرح كما يفرح الغربي ويحزن كما يحزن الغربي فبهذه الطريقة وحدها يمكن أن يتقدم كما تقدم الغربي.“

مخفين عنه أن الغربي إنما تقدم باستنزافه لخيراتنا وخيرات شعوب الدول الأفريقية والأمريكية اللاتينية خلال قرون من الزمن ،مما يؤكد أن حضارته لا علاقة لها بما يكتب في الأوراق ويصدر إلينا فنحسبه فكرا وتنويرا، وإنما هي حضارة استرقاق واستعباد للشعوب والأمم، ومَن رفض الركوع بعثوا له البوارج والأساطيل الحربية، ومن أراد أن يستيقن الخبر فليراجع القصة الأكذوبة، قصة أسلحة الدمار الشامل العراقية وعلاقة صدام بتنظيم القاعدة وتهديده للسلم والأمن الدولي، والتي كانت ذريعة الدول المتمدنة إلى احتلال العراق الأبِيِّ الأشم، وليركز الباحث الفكر والتحليل على آخر فصول القصة والمتعلق بالاستغلال الأمريكي البشع للنفط العراقي ويربطه بأول فصل فيها والمعنون بتهديد العراق و سوريا للسلم والأمن الدوليين، دون أن يغفل حدث مقتل رفيق الحريري والأحداث الأخيرة في لبنان والتي تشكل الفصل الأول في قصة جديدة تنسي العالم الإسلامي القصة الأولى.

فكيف يمكن أن ندعو إلى التعايش والانفتاح على الطريقة العلمانية؟ وأي تعايش أكثر من أن نقدم الأرض والعرض والدم مقابل السلام في فلسطين ومع ذلك لا نحصل عليه، وأي انفتاح أكثر من أن نشطب قصص صحابة رسول الله صلى اله عليه وسلم من المقرارات الدراسية ونعوضها بمبادئ الديمقراطية الغربية والرقصات الفولكلورية؟ ومع ذلك نرمى بالإنغلاق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم.

قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟

قال: فمن؟". رواه البخاري.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم . **السبيل**

قبل عبور السبيل

"إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"

حذر الله تعالى من إعلان الفاحشة وإشاعتها، وتوعد الفاعل بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النور 19.

قال أبو العباس أحمد بن عبد الحليم رحمهما الله معلقا على الآية: "وهذا ذم لمن يحب ذلك، وذلك يكون بالقلب فقط ويكون مع ذلك باللسان والجوارح، وهو ذم لمن يتكلم بالفاحشة أو يخبر بها محبة لوقوعها في المؤمنيين إما حسدا أو بغضا، وإما محبة للفاحشة وإرادة لها، وكلاهما محبة للفاحشة وبغضا للذين ءامنوا، فكل من أحب فعلها ذكرها" اهـ "الفتاوي" 332/15.

قلت: وكل عمل يتضمن محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا داخل في هذا، بل يكون عذابه أشد فإن الله قد توعد على مجرد محبة إشاعة الفاحشة بالعذاب الأليم، وهذه المحبة قد لا يقترن بها قول ولا فعل، فكيف إذا اقترن بها قول أو فعل؟

معنى الإشاعة والفاحشة:

الإشاعة: الانتشار، وشاع الحديث: إذا ظهر في العامة.

أما الفاحشة: ففي لسان العرب: "الفحش والفحشاء: القبيح من القول والفعل، وجمعهما الفواحش، والفحشاء: اسم الفاحشة، والفاحش: ذو الفحش والخنا من قول أو فعل، وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا".

وفي فيض القدير 401/1 للمناوي رحمه الله: "(إذا ظهرت الفاحشة) قال في الكشاف: وهي الفعلة البالغة في القبح، وقال القاضي: ما ينفر عنه الطبع السليم، ويبغضه العقل المستقيم".

تفسير الآية:

قال السعدي رحمه الله : "(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة (فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لِغِشِّه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة.

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) فلذلك علمكم، وبَيَّن لكم ما تجهلونه".

محبة إشاعة الفاحشة من الكبائر:

قال ابن القيم رحمه الله في معرض كلامه عن الكبائر: "فالكبائر: كالرياء، والعجب، والكِبْر، والفخر، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريما من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة..." اهـ المدارج 127/1.

عقوبة نشر وإشاعة الفاحشة:

إن كانت الآية تهديدا ووعيدا لمن أحب إشاعة الفاحشة، فقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم عقوبة نشرها وإشاعتها، فعن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا...." السلسلة الصحيحة 106.

قال تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} الأعراف 84، أي: "وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} يقول جل ثناؤه: فانظر يامحمد إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط فاجترموا معاصي الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرم الله" تفسير الطبري 542/5.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

أخبار دولية

رئيس الكنيسة الإنجليزية: الحروب الصليبية كانت خيانة للمسيح

تحدث رئيس أساقفة "كانتيربيري" الدكتور "روان وليامز" عما وصفه بالتحفظات في أصل المعتقد النصراني حيال استعمال أساليب القوة والعنف حتى في إطار خوض الحروب والمعارك.

وبعد أن اعتبر أن الحروب الصليبية لم تكن من وجهة نظره سوى خيانة للسيد المسيح وللمسيحية قال رئيس الأساقفة: إن أية محاولة لبعث هذه الفكرة -الحروب الصليبية- اليوم لا يمكن أن تحظى بتأييد غالبية النصارى في العالم.

وأوضح "وليامز" أنه حذر العديد من الزعماء الغربيين وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي "جورج بوش" من خطورة استخدام اللغة الدينية والمفردات المسيحية في الحديث عن تبرير الحروب مثل حرب العراق، وأشار "وليامز" إلى أن بوش نفسه تلقى العديد من الإنتقادات من رجال الدين المسيحيين في بلاده بسبب هذه المفردات الدينية التي استعملها.

وأضاف الدكتور "وليامز" خلال محاضرة ألقاها في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد: "لكن الحقيقة أن تعبير الحرب الصليبية ليس له أصل، والمسيحيون لا يحاربون إلا إذا كان هناك تهديد أو ظلم عليهم، والمعتقد المسيحي يرفض شن الحرب استنادًا إلى الأفكار الدينية" على حد زعمه.

وأردف يقول وفقًا لشبكة "إكليسيا": "على أية حال هناك بعض المسيحيين من الناحية التاريخية أخذوا رفض يسوع للعنف مأخذ الجد ولم ينخدعوا بمصطلح الحروب الصليبية".

جماعة مسيحية بريطانية تهدد بمقاضاة مكتبات تبيع القرآن الكريم

هددت جماعة مسيحية باستخدام "قانون التحريض ضد الكراهية الدينية والعرقية" -الذي اقترحته الحكومة البريطانية مؤخراً لمكافحة "الإرهاب"- لمقاضاة المكتبات التي تبيع القرآن الكريم للتحريض على الكراهية الدينية في بريطانيا.

وقالت صحيفة "الجارديان" إن الجماعة الإنجيلية البروتستانتية "كريستيان فويس" أو "الصوت المسيحي"، والتي تصفها بأنها جماعة أصولية هامشية، برزت للسطح بداية هذا العام، ونقلت الصحيفة عن زعيم الجماعة "ستيفن غرين" قـولـه: "إن جماعته تفكر بمقاضاة المكتبات التي تقوم بتوزيع القرآن الكريم حسب ما ذكرت القدس العربي".

وقال "ستيفن غرين": واصفا القرآن الكريم إذا لم يكن القرآن كلاما تحريضيا، فماذا يكون، -على حد زعمه- وسنقوم بالابلاغ عن الجماعات والمكتبات التي تبيع القرآن الكريم. وزعم "ستيفن" أنه لا توجد أية إشارة في الإنجيل تدعو لقتل غير المؤمنــين .

ويقول موقع الجماعة المسيحية الخاص بها على الإنترنت أن لديها الحق لحماية حقها في حرية التعبير في الهجوم على الجماعات الأخرى.

الحوزة العلمية تصور فيلمًا سينمائيًا ينتقص من أم المؤمنين عائشة

طلبت الحوزة العلمية في النجف بزعامة السيستاني من الحكومة المعيّنة من قبل الإحتلال دعم مشروع كبير لإنتاج فيلم سينمائي يروي فيه معركة الطف التاريخية.

ونقل عن أحمد حسين، عضو مكتب جمع التبرعات للفيلم الذي أنشأته الحوزة، أنه تم جمع أكثر من 500 ألف دولار أمريكي وإعداد أكثر من 700 فرس من مجموع أربعة آلاف فرس اشتركت في المعركة، حسب النصوص التاريخية الشيعية، كما جمعت مئات السيوف والدروع والخوذ والمعدات الأخرى التي ستدخل التصوير والذي سيكون في ما بين الكوفة ومنطقة بحر النجف، وقد وافقت الحكومة المعينة على تخصيص جميع المبالغ النقدية لذلك.

وذكر أن ردود أفعال غاضبة لدى السنة إنطلقت إعتراضًا على قصة الفيلم بسبب انتقاصه من قدر ومكانة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وتصوير عدد من الصحابة والتابعين بصورة مشركي قريش.

ويُعد هذا الفيلم هو الأول من نوعه في العالم الإسلامي الذي يتهجم على صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وينتقص من مكانتهم.

مدير مستشفى الفلوجة يؤكد وجود 63 حالة مصابة بأسلحة كيماوية

مع تداعيات معركة الفلوجة الثانية واستخدام قوات الإحتلال للأسلحة الكيماوية المحظورة في مدينة الفلوجة، غربي العاصمة العراقية بغداد، أعلن الدكتور "محمد عبد الله" مدير مستشفى الفلوجة العام في تصريح أن الأشهر الستة الماضية سجلت أكثر من 63 حالة مرضية لأشخاص تعرضوا إلى أسلحة كيماوية وجرثومية.

وذكر الدكتور عبد الله أن الأمراض تتراوح ما بين السرطان إلى تلف الأعصاب المفاجئ إلى فقدان البصر التدريجي إلى التهاب الأعضاء الداخلية لجسم المصاب، مشيرًا إلى أن جميع الحالات هي من الحالات التي تعد الأولى من نوعها في العالم.

إلا أن قوات الإحتلال -وعلى لسان كبار ضباط الجيش الأمريكي- كانت قد نفت تلك الأنباء جملة وتفصيلاً، لتعود وتعترف بها من جديد بعد مرور عام كامل على معركة الفلوجة الثانية.

الأمريكان يسرقون الأعضاء البشرية من الجرحى العراقيين بهدف الاتجار بها

كشفت مصادر عسكرية أوروبية عن وجود عمليات منظمة لسرقة الأعضاء البشرية للقتلى والجرحى العراقيين عن طريق أطباء يرافقون قوات الإحتلال الأمريكي في عملياتهم العسكرية بالعراق.

كما تصر الولايات المتحدة الأمريكية على مواصلة ارتكاب الجرائم في العراق، فلم تكتف بالحصار عشر سنوات والذي أدى إلى وفاة مليون عراقي خاصة الأطفال والنساء ولا بالحرب عليها التي راح ضحيتها 100 ألف عراقي مدني، ولا تدمير البنية وتلويث البيئة وزرع الفتنة الطائفية، ولا ممارسة كل أنواع القهر والتعذيب في السجون وتنظيم المذابح الجماعية وقتل الجرحى. . الخ، ولكنها أيضاً أضافت إلى سجلها الحافل في العراق جريمة جديدة هي سرقة الأعضاء البشرية للجرحى والقتلى العراقيين، وقد كشفت مصادر عسكرية أوروبية عن وجود عمليات منظمة لسرقة الأعضاء البشرية للقتلى والجرحى العراقيين عن طريق أطباء يرافقون قوات الاحتلال الأمريكي في عملياتهم العسكرية، والجرائم هنا مزدوجة، حيث يتورط عسكريون مع أطباء، وهذا بالطبع مخالف لأبسط قواعد المدنية والتحضر ومخالف لكل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية -أين المنظمات المتصلة بالطب ورسالته . ! !

هذه الجريمة تكشفت من خلال ورود تقارير تؤكد العثور على جثث مشوهة ومنزوعة الأعضاء في مناطق عمليات القوات الأمريكية، وأن هجمات جماعات طبية منظمة ترافق القوات الأمريكية من الخلف في عملياتها العسكرية للتعامل مع القتلى والجرحى لانتزاع الأعضاء البشرية، وحفظها بصورة عاجلة ثم نقلها إلى أماكن مخصصة لذلك ومن ثم نقلها إلى الولايات المتحدة وبيعها هناك كقطع غيار بشرية.

الغريب أن قيادة القوات الأمريكية في العراق بررت وجود جثث منزوعة الأعضاء بأن الرصاص اخترق تلك الأعضاء، وهو تفسير لا يصدقه طفل.

ومن البديهي هنا أن تستنتج أن إصرار القوات الأمريكية على عدم السماح لوسائل الإعلام بالاقتراب من مسرح عملياتها، هو نوع من التغطية على مثل هذه الجرائم وكذلك يمكننا أن نفهم لماذا يطلق الأمريكيون الرصاص على الجرحى والإجهاز عليهم لإخفاء معالم الجريمة، هذه الجريمة وغيرها من الجرائم؟!

أخبار وطنية

"إسلاميون" مغاربة يعلنون تأسيس حزب جديد

أعلن "إسلاميون" مغاربة عن تأسيس حزب إسلامي جديد تحت اسم "النهضة والفضيلة" بعد انفصالهم عن حزب "العدالة والتنمية" الذي يعد أكبر قوة معارضة في البرلمان المغربي.

وحسب رويترز، قال "محمد خليدي" الأمين العام للحزب الجديد في تصريح له اليوم الأحد: "لا يمكن الحديث عن انشقاق عن حزب العدالة والتنمية فقط، سنسعى في الحزب الجديد إلى تغيير الصورة السلبية التي أصبح يحملها عديد من المغاربة عن الأحزاب السياسية ونعطي نموذجًا جديدًا يتعلق بخلق حوار التسامح والتعايش في إطار المرجعية الإسلامية".

وأضاف قائلا: "في حزب "النهضة والفضيلة" قررنا أن تكون المرجعية الإسلامية برنامجًا".

وجاء في ورقة عمل الحزب الجديد "حزب "النهضة والفضيلة" حزب وطني ذو مرجعية إسلامية تستند على مشروع رؤية تستدعي أسئلة العصر". وحضر عدد كبير من مؤيدي الحزب وممثلي الهيئات السياسية المغربية الجمعية التأسيسية ومن المنتظر أن يعقد الحزب الجديد مؤتمره الأول السنة المقبلة 2006.

ترقب ثمن معقول لأضاحي العيد

يُرتقب أن تكون أثمان أضاحي العيد معقولة هذه السنة على خلفية العرض الوفير لرؤوس الأغنام والماعز، والذي من المنتظر أن يفوق الطلب.

وعكس ما يتوقعه بعض المواطنين، فإن تهاطل الأمطار لن يكون له تأثير على ثمن الأضحية، بل إن العرض والطلب هما اللذان يتحكمان في أسعار السوق. وأكدت وزارة الفلاحة أن الوضعية الصحية للقطيع جيدة في كل مناطق المغرب، وذكر بلاغ أن برامج الوقاية همت المحاربة الجماعية للأمراض المصنفة قانونيا بالمعدية كـ "جذري الأغنام والجمرة الخبيثة واللسان الأزرق"موضحا أن إنجاز هذه البرامج تم على شكل حملات تلقيح.

ويقدر عرض الأغنام هذه السنة بحوالي 6,6 مليون رأس، منها 4,3 مليون من الذكور ومليونان و 300 ألف رأس من الإناث، وهو عرض وصفه بلاغ لوزارة الفلاحة بالكافي لسد الطلب من أضاحي العيد الذي يناهز 4,9 مليون رأس منها 4,5 مليون رأس من الأغنام و 400 ألف رأس من الماعز.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

تهميش دور الدين في محاربة داء "السيدا"
مظهر من مظاهر العداء العلماني

بقلم: إبراهيم الطالب

إن العلمانيين ومن يقوم على منهجهم بمثل هذه الحملات لمحاربة السيدا إنما يمتنعون عن الإشادة بالدور المهم للدين في الحد من انتشار السيدا وغيرها من الأمراض التناسلية، لأن ذلك يتناقض مع نظرتهم إلى الشهوة الجنسية، وكيفية تصريفها والمنبنية أصلا على نظرية "فرويد"، والتي تتعارض بالكلية مع مفهوم العفة والإحصان، إذ يرى العلمانيون فيها تعديا على حرية الشخص، وحرمانه من ممارسته لرغباته ونزواته الشيء الذي يعرضه إلى عقد نفسية تؤثر على سلامته، لهذا تراهم في كل المحافل التضامنية يقصون الدين الذي كفل للمسلمين السلامة لقرون عديدة.

التمايز مظهر طبيعي جبل الله سبحانه خلقه عليه فجعله منه الذكر والأنثى والإنسان والحيوان والجامد والمتحرك والليل والنهار، فبتمايز الأشياء يعرف هذا من ذاك، وكما قيل: "بضدها تعرف الأشياء"، والأمر ليس مقصورا على الأشياء المادية وإنما يتعداها إلى المفاهيم والقيم، فلا يعرف الخبيث إلا بالطيب، ولا الخير إلا بالشر.

ورغم وضوح هذه المسلمة إلا أنك تجد من الناس من يأمل أن يصبح الخلق على قلب رجل واحد، عربيهم وعجميهم مسلمهم وكافرهم، يدعون إلى الأنسة والكونية، يمارسون هواية الخلط والخبط، ولا يعجبهم التمحيص والضبط، وينشرون في الناس باسم الفكر والفلسفة، أن ليس هناك حقيقة مطلقة، وكل شيء نسبي، فما على الإنسان بأس إن هو خالف ما يحسبه الناس حقيقة مطلقة سواء كان دينا أو عرفا، فالحق المطلق الوحيد الفريد هو ،حرية الإنسان"، وما دونه نسبي ليس لأحد أن يلزم به شخصا غيره.

وجدتني مضطرا إلى أن أسوق للقارئ الكريم أشياء يعرفها وأن أتكلم عن معلوم عنده، وذلك حتى أذكره بأكبر مِعْوَل يهدم كل ما شيَّده الإسلام في مجتمعنا من أخلاق ودين، والمتمثل في العلمانية التي بنت كل ما تدعو إليه على أساس مبدأيْ: "حرية الإنسان المطلقة" و"نسبية الأشياء".

ولسنا في هذه العجالة نرمي إلى تفصيل القول بشأن المبدأين المذكورين، وإنما سنحاول أن نربط النظري بالواقع فنأخذ بالتحليل بعض المظاهر التي يتجلى فيها مدى خبث هذا التيار العفن ونخره في مقومات ديننا وهويتنا، وذلك من خلال تحليل حدث من الأحداث التي عوّدتنا القناة الثانية العلمانية على احتضانها والمتمثل في السهرة التي خصصتها لجمع التبرعات لمحاربة داء السيدا - **sidaction**.

إن تلك السهرة لم تكن بحال سهرة لجمع التبرعات لعلاج الأشخاص المصابين بهذا الداء بقدر ما كانت معركة للصراع بين العفة والدِّين والهوية من جهة، والتملص من قيود الشرع وتجاهله وتغريب المواطنين واستجهالهم من جهة أخرى.

وقبل ذلك نود أن ننبه إلى كوننا رغم هذه الانتقادات لا نمانع في الاعتناء والرأفة والرحمة بالمصابين، وإنما نتحفظ على الطريقة العلمانية التي يتناول بها هذا الموضوع مما يجعلنا متأكدين أن الأمر لن يزداد إلا سوء، والوباء الذي نرمي إلى مكافحته لن يزداد إلا انتشارا، وذلك ببساطة لأننا نحاول القضاء على الآثار ولا نتطرق مباشرة إلى القضاء على الأسباب.

وسنفصل القول من خلال ما يلي:

1- التوظيف الخبيث للدين وإشكالية طرح الأسئلة الخاطئة:

لقد عمل المنظمون لتلك السهرة على عدم تغييب الدين الإسلامي بالكلية علما منهم أن كل المغاربة يربطون انتشار داء السيدا بالزنا والفساد وحتى يخرجوا من هذا المأزق لجؤوا إلى ما يعرف عند علماء اللغة: "بطرح الأسئلة الخاطئة من أجل تلقي أجوبة خاطئة".

وكان السؤال الخطأ هو ما طرحته مقدمة السهرة حيث قالت: "عندما تقوم الجمعية بتوزيع العوازل الطبية يواجهنا البعض بقولهم: "إننا نشجع الشباب على الفساد، فما رأي الدين؟".

أما الذي وُجه إليه السؤال فهو للأسف الشديد مدير الشؤون الإسلامية وأقول للأسف لأنه لم يقم بتصويب السؤال الخطأ، وتأخير الإجابة المباشرة، بل انساق مع الجو العام للسهرة والذي لا يمكن أن يقاومه من يهاب أن يوصم بأنه منغلق أو يخشى أصحاب التوجهات العلمانية من أن يصفوه بالتزمت والرجعية، خصوصا أن تجديد الخطاب الديني يفرض عليه التعاطي مع الأمور بالمداراة وعدم التصريح بما يمكن أن يتعارض مع السياق العلماني الصرف الذي مرت فيه السهرة.

فهذا السؤال الخطأ ركبَهُ أصحاب الحفل بكل عناية، للفرار من عدة أسئلة أخرى، من المؤكد أن المشاهد ومعه كل المغاربة قد طرحوها في أنفسهم نحو:

- هل في أحكام الإسلام وقاية من هذا الداء الفتاك؟
- وما الأهمية التي تعطى له في مكافحة هذا الوباء؟
- ولماذا لا نتوفر على القدر الكافي من الجرأة الذي يجعلنا نطرح مسألة العفة والحياء كمفهومين قويَّيْن ناجعين في مكافحة الوباء، وبالحرارة نفسها التي نددن بها حول مفهوم التضامن مع المصابين وإدماجهم في المجتمع والدعوة إلى عدم تهميشهم؟
- ولماذا نهتم بالإحصائيات ودراستها في كل المجالات ونغض الطرف عن الإحصائيات المتعلقة بأسباب انتشار داء السيدا خصوصا إذا علمنا أن 85**%** من الحالات التي يبلغ مجموعها 20000 تقريبا نتجت عن ممارسات جنسية؟

كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة كانت أوْلى بالمناقشة من ذلك السؤال الخاطئ التضليلي والموجه إلى المسؤول عن الشؤون الإسلامية في بلادنا.

إن طرح هذا السؤال بهذه الكيفية الخاطئة الساذجة "هل الإسلام يمنع استعمال العازل الطبي؟" كان المقصود منه إضفاء المشروعية على الطريقة العلمانية التي يدار بها ملف محاربة السيدا من جهة ونفي علاقة انتشاره بفشو الزنا والفساد، ولهذا سارعت إحدى الممثلات في السهرة وانتقدت بعض استطلاعات الرأي التي تخللت البرامج مبدية عدم رضاها عن المواقف التي تدعو إلى وجوب التمسك بالدين وأحكامه حتى لا يصاب المرء بداء "السيدا" مصرحة أن لا علاقة للسيدا بالدين.

إن مبلغ 35, 416.520. 20 درهما الذي تبرع به المغاربة في تلك الليلة، إن لم يكن سينفق على المرضى المصابين، فحري أن يصرف في الحملات التحسيسية بخطر الزنا والشذوذ الجنسي مادامـا من الأسباب المباشرة لداء السيدا، وأن تتكاثف الجهود من أجل إشاعة ثقافة الخوف من الله وتحقيق الإلتزام بكتابه العزيز الذي فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة، بدل أن ينفق في توزيع العوازل الطبية والملصقات.

2- محاربة "السيدا" وقطاع السياحة

استطردت رئيسة الجمعية التي نظّم حفل جمع التبرعات لفائدتها في الحديث عن السيدا وذكرت أن أكبر نسبة لعدد المصابين بهذا الوباء سجلت في جهة أكادير والتي بلغت 3800 حالة حسب وزارة الصحة، إلا أن المحزن المؤسف في الأمر أن الدكتورة لما ربطت بين طبيعة السياحة وبين نسبة الإصابة بالداء خشيت أن يربط المشاهد بين السياحة وانتشار السيدا فأسرعت إلى نفي التهمة عن السواح بقولها: "لا علاقة للسواح بانتشار الوباء" وذلك ليس لأنهم أطهار لا ينتهكون أعراض بناتنا، وإنما لأنهم واعون بخطر السيدا فهم يأتون معهم بالعوازل الطبية.

إن السؤال المطروح على هذه الدكتورة التي تحارب السيدا من جهة وتطبِّع الزنا والفساد من جهة أخرى هو: ألم يكن حريٌّ بها أن تنبِّه -في جملة الأسباب التي نبهت إليها- إلى خطر الزنا ودورها في انتشار الوباء، وتدعو إلى اجتنابها ومحاربتها ما دامت تشكل أكبر عامل في انتشار هذا الداء الفتاك؟

وسؤال آخر لا مناص من طرحه:

في نظر الدكتورة إذا كان السائح نفسه مصابا بالسيدا هل يستعمل العازل الطبي أم لا؟

وسؤال ثالث ورابع وخامس:

- لماذا يأتي السواح مسلحين بالعوازل الطبية إلى بلادنا؟
- ومن يشاركهم فيما يستعملونها من أجله؟
- وإذا فقد السائح عازله الطبي هل يمتنع عن الزنا؟

أما السؤال الذي يوجه للعلمانيين فهو:

أليست هذه الأسئلة وغيرها كثير يدخل في خانة "المسكوت عنهم" في تلك السهرة؟

إن من المؤكد أن مثل هذه الأسئلة لا تهتم الدكتورة بالإجابة عليها، وتعتبر من يطرحها متزمتا ورجعيا.

لكن رغم كل التلبيسات، فإن الجميع يعلم أن المستوى الأخلاقي لمجتمعنا قد تدنى إلى الحضيض، وتدلى في مهاوي الرذيلة حتى أصبح الرجل يرى ابنته وأخته بين أحضان رجل غريب، ولا يستطيع فعل شيء، وما ذلك إلا لكون المناهج العلمانية المادية المعادية للفضيلة والأخلاق قد استشرت في مجتمعنا، ونشرت فينا بوسائلها العري والمجون والتهتك حتى أصبح التفلت من أحكام الدين والعفة في نظر بعض الناس مظهرا من مظاهر التحرر والتقدم والتعايش والانفتاح، فهذه المناهج تحارب تدخل الدين في تربية الناس، وربط نصحهم وتوجيههم بالخوف من الله، وحثهم على تحقيق التقوى التي تمنح المؤمن كل وقاية في الدنيا والآخرة امتثالا لقول الله تعالى: **{**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتا**}** النساء66.

إن العلمانيين ومن يقوم على منهجهم بمثل هذه الحملات لمحاربة السيدا إنما يمتنعون عن الإشادة بالدور المهم للدين في الحد من انتشار السيدا وغيرها من الأمراض التناسلية، لكونه يضع قيودا على الجنس تتعارض مع نظرتهم الإباحية، وكيفية تصريف الشهوة الجنسية والمنبنية على نظرية "فرويد"، والتي تتناقض بالكلية مع مفهوم العفة والإحصان، إذ يرى العلمانيون فيها تعديا على حرية الشخص، وحرمانه من ممارسته لرغباته ونزواته الشيء الذي يعرضه إلى عقد نفسية تؤثر على سلامته، لهذا تراهم يُقصون الدين في كل المحافل التضامنية.

وختاما نقول: إن مبلغ 35, 20.416.520 درهما الذي تبرع به المغاربة في تلك الليلة، إن لم يكن سينفق على المرضى المصابين، فحريٌّ أن يصرف في الحملات التحسيسية بخطر الزنا والشذوذ الجنسي، مادامـا من الأسباب المباشرة لداء السيدا، وأن تتكاثف الجهود من أجل إشاعة الخوف من الله وتحقيق الإلتزام بكتابه العزيز الذي فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة، بدل أن ينفق في توزيع العوازل الطبية والملصقات، التي تيسر الفاحشة وتشجع عليها إذ تجعل مرتكبها في مأمن من الأمراض خصوصا في الغياب شبه الكلي لتطبيق العقوبات الجنائية ضده.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

(الحلقة الثالثة)

- القاعدة الثالثة: مراعاة "الدلالة الحَمِلية" عند ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

البحث الدلالي رهين بفهم السبل المؤدية لضبط معاني الألفاظ والمصطلحات، حالة إفرادها أو تركيبها، ولذلك حظي موضوع الدلالة باهتمام كبير بين المشتغلين والباحثين، فإن الدارس في المجال اللغوي -خاصة- لا يقصد الألفاظ لذاتها بل يتغيى الوقوف على معانيها ومدى ارتباطها بقصد قائلها، مما يدل على أهمية المعاني على المباني، وأن دلالات الألفاظ تابعة لقصد قائلها وإرادته.

قال ابن القيم رحمه الله: "... وهذا الذي قلناه من اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ، وأنها لا تلزم بها أحكامها حتى يكون المتكلم بها قاصدا لها مريدا لموجباتها كما أنه لا بد أن يكون قاصدا للتكلم باللفظ مريدا له، فلا بد من إرادتين: إرادة التكلم باللفظ اختيارا وإرادة موجبه ومقتضاه، بل إرادة المعنى آكد من إرادة اللفظ، فإنه المقصود واللفظ وسيلة، هو قول أئمة الفتوى من علماء الإسلام "اهـ اعلام الموقعين" 533 وانظر "مفتاح دار السعادة" له رحمه الله 280/1.

وقال الآمدي رحمه الله: "دلالات الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته" اهـ "الإحكام" 12/1، وانظر "الإبهاج" للسبكي 208/1.

مفهوم الدلالة في اللغة والاصطلاح

ذهب ابن فارس رحمه الله إلى أن لأصل الدال واللام معنيين: "أحدهما: إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر: اضطراب في الشيء" "معجم مقاييس اللغة" 259/2"، والمعنى الأول هو المشهور في تداول أهل اللسان.

أما اصطلاحا: ففي مفهومها العام عند أهل الأصول والعربية هي أن: "يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر" "كشاف اصطلاحات الفنون"284/2.

مراعاة الدلالة الحملية

مراد المتكلم إنما يكون في نفسه، ولا يعرف إلا بالألفاظ الدالة عليه، والأصل في ألفاظه واصطلاحاته أن تكون دالة على ما في نفسه من المعاني، ليس لنا طريق لمعرفة مراده غير كلامه وألفاظه.

وهذا المراد يعرف بطرق عدة منها:

1- أن يصرح بإرادة المعنى المطلوب بيانه.

2- أن يستعمل اللفظ الذي له معنى واضح بوضعه، مع تخلية الكلام عن أي قرينة تصرفه عن هذا المعنى.

3- أن يحف كلامه بالقرائن الدالة على مراده.

انظر"شرح الطحاوية" 158 و"الصواعق المرسلة"102/1.

وهذا الأخير يدلنا على اعتبار الدلالة الحملية (وهي التي يُحْمَل عليها الكلام فيقال إن الكلام إذا أفرد كان له معنى وإذا حمل



بعضه على بعض كان له معنى آخر فينظر في الكلام وعلى ما يحمل عليه بسباقه وبلحاقه، كما هو مقرر في الأصول) لمعرفة مراد ظاهر الألفاظ والمصطلحات والكلام -عموما-.

مع التنبيه إلى أن المراد بالظاهر في هذا الباب هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فاللفظة الواحدة يكون لها معنى في سياق وآخر في سياق آخر. انظر" القواعد المثلى" 36.

وهذا المعنى للظاهر يخالف معنى الظاهر الذي عند الأصوليين وهو ما يكون في مقابل النص.

انظر"الحدود" للباجي رحمه الله 434/2.

بل الظاهر هنا يكون تارة نصا وتارة ظاهرا -باصطلاح الأصوليين- وهذا الظاهر يجب إثباته فهو مدلول الكلام وعلامة مراد المتكلم، ونفيه يكون تكذيبا للمتكلم ونفيا لمراده.

وإن كانت بعض المصطلحات والألفاظ تحتمل أكثر من معنى عند الإطلاق مع تساويها في الأصل، فإنه عند استعمالها في سياق مفيد، لا بد من قطع الاحتمالات وإبقاء واحد منها فقط. انظر"بدائع الفوائد" لابن القيم 204/4-205.

فالسياق -إذن- يرشد إلى بيان المعنى المراد من اللفظ كلفظ العين مثلا يراد به تارة الذهب، وتارة الجاسوس، وتارة الماء، وكل واحد من هذه المعاني إنما يفهم من جهة السياق لا من جهة أخرى فـإن " كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار المساق في دلالة الصيغ" " الموافقات "153/3، وانظر في تقرير ذلك "بدائع الفوائد" 109/4.

ولا يقولن قائل أن اعتبار الدلالة الحملية خاص بكلام وألفاظ الشرع لا في كلامنا، فقد قال ابن ناصر السعدي رحمه الله في "القواعد والأصول الجامعة"636/2 "القاعدة التاسعة والعشرون: يجب تقييد اللفظ بملحقاته من وصف أو شرط أو استثناء أو غيرها.

وهذا الأصل واضح معلوم من لغة العرب وغيرها ومن العرف بين الناس، لأنه لو لم يعتبر ما قُيِّد به الكلام لفسدت المخاطبات وتغيرت الأحكام وانحل النظام وهذا مطرد في كلام الله وكلام رسوله وكلام جميع الناطقين، فكما أننا نستفيد من كلام الله وكلام رسوله، ونعتبر ما فيها من القيود المخصصة لإطلاقات الكلام، فكذلك نعتبر ذلك في كلام الناس ونحكم عليهم بما نطقوا به من اطلاق وعموم ومن قيود وتخصيصات..." اهـ 636/2.

وانظر"الرد على البكري"لابن تيمية 240/2 ، و"العواصم" لابن الوزير-رحمه الله-38/1.

وختاما:

نقول أنه مما يتفرع عن قاعدة مراعاة الدلالة الحملية: "مراعاة حال المُخاطَب والمخاطِب" ذلك أن: "معرفة مقاصد العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب.. أو المخاطَب أو المخاطِب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالتين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك". الموافقات 347/3.

مفهــوم الإصلاح

كثرت في زماننا -بل منذ أزمان- مناهج الإصلاح، وتعددت طرائقه، ونادى به أناس كثر على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، حتى التبس على كثير من الناس الحق بالباطل، فحصل الاختلاف والتدابر والتناحر والتفرق مما أدى إلى ضعف كيان الأمة الإسلامية كما قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} الأنفال.

نعم، إن الإصلاح موافق للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولذا قال نبيُّ الله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه لما دعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن انقاص المكاييل والموازين، وأمرهم بتوفيتها: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ}هود.

- **فما حقيقتة الإصلاح والصلاح لغة وشرعا؟ وما الفرق بينهما؟**
- **وما هي مرجعية الإصلاح؟**
- **وما الفرق بين المصلح والمفسد؟**

حقيقتة الإصلاح والصلاح لغة وشرعا والفرق بينهما.

جاء في "لسان العرب": "والإصلاح نقيض الإفساد، والمصلحة: الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت"اهـ 5162.

أما شرعا: فقال السعدي رحمه الله: "والإصلاح هو أن تسعى في إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم، وجميع أحوالهم، بحيث تكون على غاية ما يمكن من الصلاح.

وأيضا يشمل إصلاح الأمور الدينية، والأمور الدنيوية وإصلاح الأفراد والجماعات وضد هذا الفساد" اهـ "أصول التفسير وكلياته(ملحق بتيسير الكريم الرحمن 450/5)".

أما الصلاح: ففي اللغة هو: ضد الفساد. "القاموس المحيط" 693/1.

وشرعا: قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير، وكذلك الفساد يتناول جميع الشر" اهـ"الإيمان"89.

أما الفرق بينها: فقيل أن الصلاح متعلق بإصلاح النفس، والإصلاح متعلق بإصلاح الغير، وإذا أفرد كل واحد منها وأطلق فإنه يشمل الآخر على قاعدة: "إذا اجتمعا تفرقا، وإذا تفرقا اجتمعا".

مرجعية الإصلاح

هناك من يريد الإصلاح حقيقة ومن هم مقيمون على الفساد والإفساد، والضابط الذي يميّز بينها هو كتاب الله جل وعلى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الصحابة الكرام، إذ الإصلاح كله مضمن فيما جاء به الشرع أو دل عليه وأرشد إليه، أو قبله، فمن زعم الإصلاح بما يخالف الشرع فهو مفسد وإن زعم غير ذلك،لأن العقول وإن اهتدت إلى ما فيه بعض الصلاح والإصلاح في بعض الأمور، لكنها لا تستقل بإدراك الصلاح كله في الأمور جميعها.

قال الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله: "في فطرة الإنسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ويفقه بها الحق والباطل، ولكن هذه القوة العاقلة لا تستقل وحدها بتمييز المعروف من المنكر، وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عوج فيه فإنها -وإن بلغت في الإدراك أشدها- قد تنبو عن الحق، ويعزب عنها وجه المصلحة، ولا تهتدي إلى عاقبة العمل، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة، وقد يتراءى لها الشر في شبه من الخير فتتلقاه بالقبول" اهـ" الدعوة إلى الإصلاح" 19.

الفرق بين المصلح والمفسد

لا مندوحة -إذن - لأحد يدعو إلى الإصلاح عن الرجوع إلى الشرع والركون إليه والانطلاق منه، وهذا هو الفيصل بين المصلح والمفسد فإن الذي لم يجعل الشريعة دليله وقائده بل جعلها وراءه ظهريا فهو مفسد يقيم على الفساد ويدعو إليه وإن زعم أنه من دعاة الإصلاح! وهذا هو حال المنافقين فهم يفسدون ويزعمون أنهم يصلحون كما قال تعالى:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} البقرة.

فتجدهم يدعون إلى المساواة المطلقة بين الذكر والأنثى حتى فيما فرقت فيه النصوص القطعية تحت عباءة عدم التمييز بين طبقات المجتمع.

ويدعون إلى تبديل وتحريف أحكام الله تحت عباءة الإجتهاد والنظر!!

ويدعون إلى إباحية مطلقة من كل قيد وإشاعة الفاحشة تحت عباءة المحافظة على حقوق الإنسان وإعطاء الحرية!!

ويدعون إلى تذويب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية تحت عباءة الإنسانية والانفتاح على الآخر!

ويدعون إلى الهجوم على سادات هذه الأمة وعلى علمائها تحت عباءة النقد الحر!!

ويدعون إلى المساس بالأصول والتوابث الدينية تحت عباءة إبداء الرأي!!

إلى غير ذلك من التدليس والتلبيس على الناس ومخالفة الظاهر للباطن وهذا هو النفاق وأولائك هم العلمانيون، كل ذلك تحت عباءة الدعوة إلى الإصلاح، والله يعلم أنه فساد وإفساد: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}.

فالفيصل بين المصلح والمفسد -إذن- راجع إلى موضع الشريعة وقدرها في دعوة كل واحد منهما.

و"لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"،كما قال إمامنا مالك رحمه الله.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

رياض النساء

ربّة البيت ودورها في الإصلاح والتنمية

بقلم: حمّاد القبّاج

لقد شاع بين كثير من الناس أن المرأة الملازمة لبيتها، القائمة بوظيفة التربية والعناية بالبيت، إنسان معطل، موؤود القدرات والمواهب، لا يلعب أي دور في تنمية المجتمع، وترقية النوع البشري!

وروّج لهذه الفكرة كثير من العلمانيين المعارضين لتحكيم الدين في التصور والسلوك، الرافضين لانتشار أحكامه وآدابه في المجتمع.

وزعموا أن المجتمع الذي يكثر فيه هذا الصنف من النِّساء كالإنسان الذي يتنفس برئة واحدة!

وأريد في هذه السطور أن أسلط ضوء النقد الهادف -بما يناسب حجم المقال- على هذا الطرح لإظهار ما في زواياه من تدليس، وما في خباياه من مغالطات، لا يسع باحثا منصفا، فضلا عن محب للإصلاح السكوتُ عنها.

فأقول وبالله التوفيق:

الأصل الشرعي في هذا الباب قول الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} الأحزاب33.

وبَيَّن نبيُّنا صلى الله عليه وسلم الآية بقوله: «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن» متفق عليه.

وقد أورد هذا الحديث الإمام البخاري تحت (باب خروج النساء لحوائجهن).

وفقهُ المسألة: أن من الآداب التي دعا الشارع الحكيم إليها المرأة: أن يكون الأصل فيها القرار في البيت وأن لا تكون كثيرة الخروج منه، وهذا الخروج جائز للحاجة كطلب علم أو صلة رحم أو نزهة ..

وقد يكون العمل للتكسب أو إسداء خدمة للمجتمع من الحاجة، فيجوز لها الخروج إليه ويؤكد ذلك ما يلي:

عن جابر رضي الله عنه قال: طلقت خالتي ثلاثا فخرجت تجذّ نخْلا لها فلقيها رجل فنهاها، فأتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له. فقال لها: «اخرجي فجذي نخلك» رواه مسلم.

"وإذا نظرنا إلى واقع الحياة وتقلّباتها، نجد أن المرأة قد تضطرها صروف الدهر إلى التكسب لتُقيم أَوَدَهَا؛ إما لفقدان العائل أو رغبة في مساعدته على أعباء المعيشة وتكاليفها، وقد يحتاج المجتمع المسلم إلى أعمال هي من صميم اختصاص النساء... "، فكان هذا من الحاجة التي تبيح لها -مع مراعاة الضوابط الشرعية- الخروج للعمل والتكسب.

لكن ليس في ذلك ما يقتضي جعل خروجها ديدنا وأصلا، بل الأصل هو القرار في البيت كما سبق.

أما المخالفون فيريدون أن يكون الأصل في المرأة هو العمل خارج البيت وأن تكون مساوية للرجل في ذلك، ويجعلون ذلك من حقوقها، ويرون أن قرارها في البيت يجعلها إنسانا معطلا؛ لا إسهام له في تنمية مجتمعه وإصلاحه وترقية النوع الإنساني!

وبتبنِّيهم لهذه القناعة المقلوبة عرَّضوا سفينة الحياة الأسرية والاجتماعية إلى عواصف مدمرة، وأمواج مهلكة نشاهد آثارها صباح مساء.

وبيان ذلك بأن نقول: إنه لابد -في خضم الحياة الاجتماعية- للمرأة من عمل ولا بد للرجل من عمل، فهما متساويان من هذه الناحية، لكن طبيعتهما البيولوجية والنفسية من جهة، ومتطلبات الحياة الأسرية والاجتماعية من جهة أخرى، يدل على أنهما لم يخلقا ليعملا في مجال واحد، ولذلك يتعين التفريق بينهما في نوع العمل.

يقول أحد الباحثين: "وإذا نظرنا إلى جنس انقسم إلى نوعين فيجب أن نقول إنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مهمتين، وإلا لو كانت المهمة واحدة لظل الجنس واحدا، ولم ينقسم إلى نوعين؛ فالليل والنهار نوعان لجنس واحد هو الزمن، وهذا التنوع أدى إلى أن يكون لِليل مهمة هي السكن، وأن يكون للنهار مهمة هي السعي والكدح، والرجل والمرأة بهذا الشكل نوعان لجنس هو الإنسان فكأن هناك أشياء تطلب من كل منهما كإنسان، وبعد ذلك أشياء تطلب من الرجل كرجل ومن المرأة كامرأة".

وقد راعي الإسلام هذه الحقيقة فيما شرعه من جعل الأصل في المرأة قرارها في البيت، وجعل أهم أعمالها الحضارية في هذا الإطار.

وأساس هذا العمل يتمثل في رعاية البيت والقيام على مصالحه؛ وأعظمها: تربية الطفل تربية ذات أبعاد مهمة وحساسة، تلعب أكبر الدور في رقي الأمة وقوتها.

ووظيفة التربية هذه من أقدس الوظائف وأدعاها للعناية والاهتمام؛ فإن الطفل عندما يخرج من ذلك العالم الغيبي يكون مرآة خالية من جميع الصور، مبرأة من جميع الشوائب الأخلاقية والمعايب النفسية، وقابلة لأن ترسم كل صورة عرضت إليها على علاتها، ولكل من هذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عندما يَشِبُّ وتسوقه رغم أنفه إلى الوجهة التي تهيئها له.

فإما الجبن أو الشجاعة وإما الكرم أو البخل وإما البشاشة أو العبوس... إلى غير ذلك من الفضائل والرذائل التي ما هي إلا آثار تلك الصور التي ارتسمت في مُخِّه وهو خَلِيُّ الذهن من كل شيء، فإذا كان الناس قد اعتادوا على أن ينظروا إلى من ورث مالا فأساء التصرف فيه بعين الآسف المتلهب، فكان بالأولى يجب عليهم أن ينظروا بتلك العين إلى الأم الجاهلة بشرائط تلك التربية، بل شتان بين كنز يُبَذَّر وبين نفس كريمة تقتل قتلا أدبيا، فيشب صاحبها رغم أنفه جائحة على بني جلدته ومصيبة على إخوان ملته، أو بالأقل غير نافع لقومه وعشيرته، مع أنه لو كان ممن أسعده الحظ فأحسنت أمُّه تربية مواهبه وتنمية ملكاته لشب وهو واحد من أولئك الأفراد الذين تسعد بهم الأمم وترقى بفهمهم إلى أوج الجلال والعظم.

والواقع أكبر دليل على خطورة تخلي المرأة عن هذا العمل أو التقصير فيه؛ و يتمثل هنا فيما انتشر في الأمة من هذا القطيع المدمر من الشباب والشابات، الذين يشكلون حجر عثرة في وجه صلاح الأمة ورقيها، بما هم عليه من انحراف في السلوك والخلق، وضعف في العلم والعمل، همُّ الواحد منهم لا يتجاوز شهواته، وسعيه يدور في فلك اللهو ومصالحه المادية فحسب.

..إن الأمة لن يرجع إليها أبدا عزها الغابر، ومجدها الأثيل، مع كثرة هذا النوع من الناس بين أفرادها المؤثرين؟!

والواجب المذكور، لا يضطلع به في أمتنا العربية إلا فتية آمنوا بربهم، واستقاموا على صراطه، وجعلوا من أنفسهم أداة بناء وإنتاج، ووسيلة إصلاح ورقي وتنمية.

ولاشك أن البيت والأسرة هو أول وأهم من يلعب دورا في وضع النشء في هذا المسار العظيم.

ومن المؤكد أنه المسؤول الأول عن كل الانحرافات التي تجعل شبابنا يتقاعسون عن القيام بهذا الواجب، بل يشكلون عائقا أمام تحققه.

والمرأة شرعا وطبيعة هي المؤهلة للاضطلاع بالجانب الأكبر من هذه المسؤولية؛ كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف:

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم" رواه مسلم.

قال النووي: "قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته".

فربة البيت مطالبة بالقيام بمصالحه ومتعلقاته، وهي أمانة ومسؤولية، تجعلها على قمة هرم العاملين والمساهمين في إصلاح المجتمع وتنميته.

ولا ينبغي لعاقل أن يماري في أن البيت أحوج إلى المرأة من حاجة المحاكم والوزارات والإدارات والشركات إليها، وهذه المرافق لا تتضرر بغياب المرأة كما تضرر بذلك الأسرة، وكل منصف متجرد يعلم أن حاجة الولد إلى أمه أعظم من حاجة المجتمع إلى قاضية تنصف المظلوم وتعاقب المجرم، أو وزيرة تدبر بعض الشؤون السياسية أو الاقتصادية أو غيرها، فضلا عما هو دون ذلك من الأعمال؛ فإن هذه الأخيرة تعوض، أما الأم فلا تعوض أبدا.

فهذا العامل المؤثر راعاه الإسلام في تشريعه المعجز، وجعله نصب عينيه حين أمر المرأة أن يكون وجودها في البيت هو الأصل، وخروجها طارئ.

وتأمل كيف جاءت أحكام الشريعة -التي لها علاقة بالباب- منسجمة مع هذا الأصل؛ والتي منها:

إعفاء المرأة من وجوب شهود الجمعة، ووجوب أداء الصلوات الخمس في المسجد، ووجوب المشاركة في الجهاد، ووجوب السعي لتحصيل قوت الأسرة...

فإن من الحكمة البالغة في ذلك: مراعاة رسالتها الحضارية، وتفريغها لها، وتمكينها من أدائها على أكمل الوجوه.

وقد راعى التشريع الرباني كذلك ما هو مشاهد من حاجة كثير من النساء للعمل خارج البيت للتكسب، وحاجة المجتمع للمرأة كطبيبة أو ممرضة أو معلمة أو ناشطة في أعمال اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك؛ فضلا عن حاجتها للخروج لأداء حق أو تحصيل مطلب.. فأتاح لها الخروجَ لذلك مع حثه لها على الالتزام بالآداب الشرعية التي تصون كرامتها وعرضها.

وهذا يظهر عظمة الإسلام وسُمُوَّ تشريعاته التي تنسجم مع السنن الكونية والطبيعة البشرية، وتكون معها وحدة متكاملة منسجمة تحقق مصالح الإنسان المختلفة.

..إن الإسلام لا يرى في المرأة أنها نصف المجتمع فحسب، بل يرى فيها أكثر من ذلك حين مكنها -بما أناطه بها من مهمة تنشئة الأجيال- من صنع أفراد المجتمع الذي يُحكم بنجاحه إذا نجحوا وبفشله إذا فشلوا.

وهذه الصنعة الشريفة لا تدانيها أهمية صنعة تتخذ فيها المرأة قرارت سياسية، أو أخرى تقوم فيها بترتيبات إدارية، أو غير ذلك من الوظائف والأعمال...

فأحسن الله عزاءنا في فكر العلمانيين والمستغربين الذين يرون في حكم الإسلام تخلفا ورجعية، بينما هو من أهم عوامل الإصلاح والتنمية.

ولابد أن أشير هاهنا إلى أن هذه المصالح المتوخاة من الحُكم المذكور لا تظهر ويكون لها وزن وتأثير، إلا إذا كانت ممارسة المرأة لوظيفة تربية الأطفال قائمة على دراسة قوانين هذه التربية ومطالعة أسرارها وسبر أغوارها وقائمة على الوعي التام بالبعد الحضاري لهذه الوظيفة، وهذا أمر تفتقده -للأسف- جل نسائنا بسبب فشو الجهل والأمية، وبسبب انتشار الثقافة المعكوسة التي تجعل المرأة العاملة خارج البيت في مرتبة أعلى من مرتبة المرأة العاملة داخله، بل تجعل هذه الأخيرة يدا مشلولة في جسد الأمة، وآلة معطلة في مصانعها! مما أدى إلى نفور أكثر النساء من عمل البيت واحتقاره، وهذا موقف مقلوب بني على جهل مركب، وقديما قال فرعون : {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} غافر26.

كما أؤكد أن نجاح ربة البيت في رسالتها السامية هذه، متوقف إلى حد كبير على قيام شقيقها الرجل بواجبه، أبا وابنا وأخا، ومتوقف أيضا على تحمل المجتمع لمسؤولياته في هذه القضية الحساسة...

والله الموفق، لا رب سواه، ولا إله غيره.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

كلمات نيِّرات من نساء زاهدات

- تقول "زبدة" أخت بشر الحافي: أثقل شيء على العبد الذنوب، وأخفه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟

-.-.-.-.-.-

- و روى عيسى بن إسحاق الأنصاري قال: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأنس بالله، والموافقة لتدبيره .

-.-.-.-.-.-

- وروى سفيان أن عابدة من الكوفة كانت تقول: طول الأمل بطأ بي عن سبيل النجاة.

-.-.-.-.-.-

- و قالت بحرية العابدة: إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم واتبعه، واحتمل كل ما يرد عليه.

-.-.-.-.-.-

- وتقول ابنة أم حسان الأسدية للعالم الجليل سفيان الثوري: يا سفيان، كفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علما أن يخشى الله.

-.-.-.-.-.-

- وذكر عاصم الجحدري أن "أم طلق" البصرية كانت تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطانا. وتقول: النفس ملك إن اتبعتها، ومملوك إن أتعبتها.

-.-.-.-.-.-

- وقالت فاطمة النيسابورية: من لم يكن الله عز وجل منه على بال، فإنه يتخطى في كل ميدان، ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال، أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص.

-.-.-.-.-.-

- وروى أبو بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبد القيس متعبدة، فكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه، وتقول: إن القلب القاسي إذا جفا لم يُليِّنه إلا رسوم البِلَى، وكأني أنظر إلى أهل القبور وقد خرجوا من بين أطباقها، وإلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام المتغيرة، فياله من منظر كربة لو أشربه العباد قلوبهم، ما أثْكَلَ مرارته للأنفس، وأشد إتلافه للأبدان.

-.-.-.-.-.-

- قال محمد بن الحسين: حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال: سمعت أختي يوما تقول: الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفرا يكون فيه تعب بدنه وإنفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان: من غير أن ينشئ سفرا أو ينفق مالا أو يتعب بدنا ما هو إلا أن يجمع طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

رياض النساء

الحجاب تشريع رباني

بقلم: حمّاد القبّاج

-الحلقة الثانية-

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} الأحزاب36.

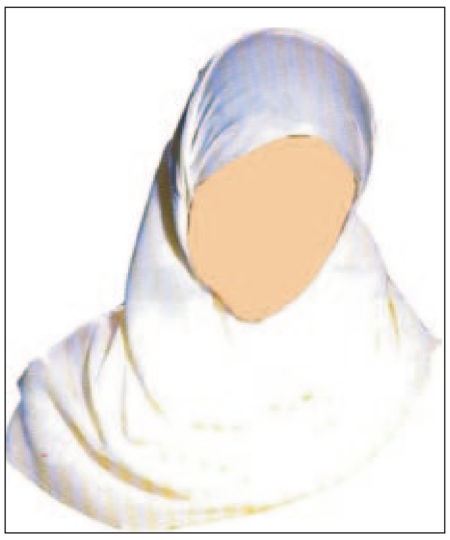
لا يزال حديثنا عن آية سورة النور وما دلت عليه من الأحكام الشرعية والآداب المرعية، ومنها:

4- وجوب الضرب بالخمار:

كانت النساء قبل نزول هذا الأمر في هذه الآية يكتفين بتغطية رؤوسهن ويكشفن أعناقهن وما جاورها، وكانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن، فأمرهن الله بستر ذلك وقال: {لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}.

والخُمُر جمع خمار، وهو غطاء الرأس؛ قال الفيومي: "ثوب تغطي به المرأة رأسها، والجمع خُمُر" (1)

و الجيوب: جمع جيب والمقصود به؛ النحر والصدر؛ لأن جيب القميص هو شقه الذي يدخل منه الرأس.



قال الإمام ابن كثير: "(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تَمُرُّ بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها، وذوائب شعرها، وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن" (2)

5- يجوز للمرأة أن تظهر لبعض الناس غير ملتزمة باللباس الواجب عليها أمام الرجال الأجانب:

وقد ذكر الله سبحانه بعضهم في هذه الآية، وذكر آخرين في نصوص أخرى: قال الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) النساء 23.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» متفق عليه.

فدلت هذه النصوص على أن محارم المرأة هم: الزوج وهو المقصود بالبعولة، والآباء وكذا الأجداد، سواء كانوا من جهة الأب أو الأم، وآباء الأزواج وأيضا الجد وإن علا والأبناء وأبناء الزوج ويشمل الأحفاد وأولادهم، والأخوة مطلقا وأبناء الإخوة وأبناء الأخوات أشقاء، أو لأب، أو لأم، وزوج الأم والأعمام، والأخوال، والمحارم من الرضاعة، فهؤلاء كلهم محارم المرأة، لا يحل لها الزواج منهم.

ويجوز لها أن تظهر لهم مواضع الزينة لقوله تعالى: "وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ"... الآية.

فالمراد بالزينة هاهنا مواضعها لا عينها كما في الآية السابقة.

أما الزوج فيحل له أن يرى أكثر من ذلك، إذ كل محل من بدنها حلال له لذة ونظرا(3) .

وهكذا دلت آية الباب على أنه يجوز للمرأة ترك الحجاب أمام النساء المسلمات دون الكافرات(4).

ودلت الآية أيضا على جواز إبداءها أمام التابعين غير أولي الإربة من الرجال، فذكر لهم شرطين:

الأول: أن يكونوا تابعين؛ ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه، ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمه بطنه.

والمقصود: لبلاهته وسفهه.

والآخر: أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، ومعنى الإربة؛ الحاجة إلى الوطء. (5)

ويجوز للمرأة جلبابها الشرعي كذلك أمام الأطفال الصغار الذين لم يظهروا على عورات النساء؛ أي لا يدرون ما عورات النساء .(6) والله أعلم.

و ظاهر مما سبق أن أقارب زوج المرأة ليسوا محارما لها، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والدخول على النساء، قالوا: "أرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: "الحمو الموت"(7).

قال الليث بن سعد رحمه الله : "الحمو أخو الزوج, وما أشبهه من أقارب الزوج "(8).

"و معنى الحمو الموت: أن خلوته معها أشد من خلوة غيره " (9).

و قد تساهل الناس كثيرا في هذا الباب، فتعين التذكير به.

6- وجوب ستر القدمين على المرأة:

وهو صريح قوله تعالى: "وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ".

قال ابن حزم: "هذا نص على أن الرجلين والساقين مما يخفى ولا يحل إبداؤه "(10).

فصل

ثم ختم الله تعالى هذه الآية العظيمة بقوله سبحانه: "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ".

قال العلامة جابر الجزائري: "أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة؛ وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله، ومن ذلك غض البصر، وحفظ الفرج، والالتزام بالعفة والستر، والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره، وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب، والظفر بالمحبوب المرغوب"(11).

1- المصباح المنير (ص 181).
2- تفسير القرآن العظيم.
3- الجامع لأحكام القرآن .(12/211)
4- خلافا لمن يقول يجوز للمرأة أن ترى من المرأة ما بين السرة والركبة، وهذا لا دليل عليه بل هو مخالف للآية.وتفسير نسائهن بالمسلمات هو المنقول عن ابن عباس ومجاهد ومكحول. جامع البيان 161/10 وتفسير القرآن العظيم 401/5.ولم يذكر ابن جرير ولا ابن كثير غيره.
5- التسهيل لعلوم التنزيل (2/90).
6-المصدر السابق.
7- رواه البخاري 523/2 و مسلم 21/7.
8- ذكره مسلم بعد روايته للحديث.
9- شرح السنة للبغوي (9/26).
10- المحلى (3/216).
11- أيسر التفاسير(ص 845).

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

من مصابيح السبيل قصر النظر على الحالة الحاضرة

قال ابن ناصر السعدي رحمه الله:

"القاعدة الحادية والأربعون: قصر النظر على الحالة الحاضرة:

يرشد الله عباده في كتابه من جهة العمل إلى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب في الأمر والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليها من المصالح، ومن جهة النعم إلى النظر إلى ضدها.

وهذه القاعدة الجليلة دعا إليها القرآن في آيات عديدة، وهي من أعظم ما يدل على حكمة الله، ومن أعظم ما يُرَقي العاملين إلى كل خير ديني ودنيوي، فإن العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته، فإن قصر فِكره وظاهره وباطنه عليه نجح، ويتم له الأمر بحسب حاله.

وإن نظر وتشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعدُ فترت عزيمته، وانحلت همته، وصار نظره إلى الأعمال الأخرى ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه.

ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه، وربما كان الثاني متوقفاً على الأول في حصوله أو تكميله، فيفوت الأول والثاني، بخلاف من جمع قلبه وقالبه، وصار أكبر همه هو القيام بعمله الذي هو وظيفة وقته: فإنه إذا جاء العمل الثاني فإذا هو قد استعد له بقوة ونشاط ويتلقاه بشوق، وصار قيامه بالأول معونة على قيامه بالثاني.

ومن هذا: قوله تعالى مصرحاً بهذا المعنى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} النساء: من الآية 77 .

فانظر كيف حالهم الأولى وأمنيتهم وهم مأمورون بكف الأيدي، فلما جاء العمل الثاني ضعفوا عنه كل الضعف .

.. وقد كشف هذا المعنى كل الكشف قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً} النساء:66**، لأن فيه تكميلاً للعمل الأول، وتثبيتاً من الله، وتمرناً على العمل الثاني.**

.. فالله أرشد العباد أن يكونوا أبناء وقتهم، وأن يقوموا بالعمل الحاضر ووظيفته، ثم إذا جاء العمل الآخر صار وظيفة ذلك الوقت، فاجتمعت الهمة والعزيمة الصادقة عليه، وصار القيام بالعمل الأول معيناً على الثاني، وهذا المعنى في القرآن كثير".

"القواعد الحسان" ملحق بتيسير الكريم الرحمن562/5 .

رشيد مومن الإدريسي

إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ

... يكون التغيير أولا لما في أنفسنا بفهم ديننا، ثم إصلاح عقيدتنا، وتصحيح عباداتنا، وتحسين أخلاقنا إذ هو الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره.
قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}الرعد، قال القرطبي رحمه الله: " أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغيِّر ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم" الجامع لأحكام القرآن.

النظر في واقع الأمة يحير الألباء، ويدهش الأذكياء، ويوقع اليأس في قلوب الضعفاء !

فإن الأمة الإسلامية على مفترق الطرق تعيش حياة التيه التي لم يشهد تاريخ الإسلام لها مثيلا رغم ما مرت به من أزمات كثيرة، وحلت به من نكبات متلاحقة في لحظات من الضعف والبعد عن حمى الله الوثيق.

وقد اختلفت نظرات المصلحين فيما بينهم حول ماهية الطريق الأمثل الذي فيه المخرج من هذا الواقع المؤلم، وعلى اختلاف نظراتهم تتفاوت طرائقهم المنبثقة من هاتيك النظرات، مما يؤدي -حتما- إلى واقع سيِّء جديد أثمره ذاك الاختلاف الفكري والعملي بين هؤلاء المصلحين أنفسهم !

ولو أن هؤلاء المصلحين-أصلحنا الله وإياهم- سددوا نظرتهم، وعمقوا فكرتهم، وانطلقوا في إصلاحهم من واقع يعيشونه وحاضر يحيونه، لرأوا جميعا أن قاعدة ذاك الطريق الأمثل بينة أمامهم، ظاهرة قدَّامهم، ويتمثل ذلك في التمسك بالإسلام، كما قال عمر رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ".

ولذاك ينبغي لنا أن نرى هذا الواقع بنظرة الإسلام إليه، وتحديد الأسباب التي أدت إليه، ثم استشراف النهج الحق الذي به التغيير والصلاح والإصلاح.

قال مالك رحمه الله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ".

وفي الحديث عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-ونحن جلوس على بساط -: "إنها ستكون فتنة، قالوا: وكيف نفعل يا رسول الله؟ فرَدَّ يده إلى البساط فأمسك به فقال: "تفعلون هكذا".

وذكر لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام يوما إنها ستكون فتنة، فلم يسمعه كثير من الناس، فقال معاذ بن جبل: ألا تسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقالوا: ما قال؟ قال: إنها ستكون فتنة، قالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ وكيف نصنع؟ قال: "ترجعون إلى أمركم الأول". رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند صحيح.

لكن لا تغيير نافع، ولا إصلاح فعال لأوضاع المسليمن- في ضوء ما ذكرناه- إلا بالبدء بإصلاح الأنفس أولا، فلا يُبْدأ بإصلاح الإقتصاد، ولا بتطوير المدنية ولا بأي شيء آخر، وإن كان كل ذلك مهما في إحراز القوة والمنعة، وإنما يكون التغيير أولا لما في أنفسنا بفهم ديننا، ثم إصلاح عقيدتنا، وتصحيح عباداتنا، وتحسين أخلاقنا إذ هو الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره.

قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد، قال القرطبي رحمه الله:" أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغيِّر ما بقوم حتى يقع منهم تغيير, كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم " الجامع لأحكام القرآن.



واعلم أن عملية التغيير إنّما هي نصرنا لله تعالى الذي هو شرط نصره لنا كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} سورة محمد، فمهما حاولنا التهرب من قوله تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } أو التفلت من مقتضاه فإننا لن نجني سوى ضياع الأوقات، وإهدار الجهود والطاقات، لأنه صريح في مدلوله واضح في معناه لا يحتمل تأويلا ولا يقبل تمييعا، ولا دعوى للاجتهاد فإنه: " لا اجتهاد مع النص ".

قال ابن ناصر السعدي رحمه الله في معرض كلامه عن صلاح الأمور بصلاح المربين لها والعاملين عليها: "ولن يتم ذلك للأمة -على ما أرشد الله وأمر- إلا بأن يشعر كل واحد بالواجب عليه بنفسه، وما لها وما عليها من الأمانات والواجبات عليه لأبنائه وزوجه، وخدمه، ومواليه وبهائمه، وأرضه ومتجره، وكل شيء وضعه الله تحت يده واسترعاه إياه، ويدْر المسؤولية أمام الله سبحانه: { يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}الشعراء، فيقوم بكل ما في جهده بهذا الواجب، غير متوان ولا متواكل، فعندئذ- وعندئذ فقط- تكون الأمة صالحة في أفرادها وأسرها وحكامها وأمرائها، فصلاح المتولين للولايات الكبرى والصغرى عنوان صلاح الأمة وضده بضده، وأصدق البراهين على ذلك قول الله في سورة الرعد: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

فهل آن للذين يتجنون بالشكوى من ولاة أمورهم أن يعقلوا عن الله سنته وحكمته فيعلموا أن الداء ليس في الحكام والولاة فقط، وإنما الداء في الأمة التي غفلت وغفل كل فرد فيها عن الواجب عليه فيما استرعاه الله من الرعيّة، وخيانته لما استأمنه الله من أمانات. وأن الولاة: إنما هم من أفراد الأمة والصورة المصغرة التي تمثل الأمة وتصورها؟ ولكن أكثر الناس لا يعقلون" اهـ ("القواعد الحسان"، ملحق بتيسير الكريم الرحمان5/559).

مع التنبه أن هذا التغيير مناط بمشيئة الله تعالى وتوفيقه لا بقوتنا ولا بتخطيطنا فقط.

والخلاصة:

أن التغيير تغييران:

- تغيير القلب والعمل، وهو على العبد بتوفيق الله له.
- وتغيير الواقع والحال، وهو على الرب سبحانه بمنته وفضله.

وهما متتاليان لا يتحقق الثاني إلا بتحقق الأول شرطا.

فمن عكس الأمر يناله قوله تعالى: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الملك.

وختاما نقول: هذا هو الطريق الذي يجب أن نسير عليه مستضيئين بكتاب ربنا وسنة نبينا وما كان عليه سلفنا الصالح، مع الإشارة أن هذا السير الحثيث لا يمنعنا -شرعا ولا واقعا- من التطرق -في محله وبمقداره الشرعي- إلى القضايا التي تشغل الأمة.

فهذا هو الاعتقاد السديد الدقيق، والنظر العميق، وقول أهل التحقيق بعيد عن كثرة القيل والقال أو الطيران في أجواء الخيال .

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

في رحاب الدعوة
الـحـكـمـــة

صاحب النية الخالصة، والدعوة الصادقة، يبقى عمله قاصرا، إن لم يرزق الحكمة في التعامل، والاصابة في الاختيار.

فإن من الأسس المهمة في الدعوة إلى الله تعالى الحكمة فيها كما قال جل وعلا: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل125.

"فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة" الفتاوي164/19.

والحكمة تجمع أساليب الدعوة جلها من وعظ، وجدل، وقوة، وحجة، وإبطال دعوة الخصم، واستدلال، وغير ذلك، لأن معناها الشامل اسم لكل العلوم، ومن هنا كانت صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم استخدموا جميع الأساليب الدعوية التي أمرهم الله باستخدامها، فعلى ذلك تكون الحكمة هي: معرفة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة وما يتعلق بهما من علوم شرعية ، فتكون الدعوة بالحكمة بما ورد فيها من علوم تغني الداعية المتبصر عن أي شيء سواهما ، لأن شريعة الإسلام لم تترك صغيرا ولا كبيرا إلا أوضحته بالغ الإيضاح ، وذلك لا يكون إلا بفهم القرآن والسنة، والعمل بهما ، وبذلك صرح كثير من التابعين في تعريفهم للحكمة، وأكده الإمام ابن تيمية رحمه الله بقوله:

"... وأما الحكمة في القرءان فهي معرفة الحق وقوله والعمل به... " الفتاوي 164/19.

فللحكمة جذور فطرية وأخرى مكتسبة ومن أسباب هذا الاكتساب: التفقه في الدين ، وهو من الخير الكثير، كما قال تعالى : {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} البقرة269، قال مجاهد رحمه الله: الحكمة هي الفقه والعلم.

وأكدت السنة ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام:

"من يرد الله به خيرا يفقه في الدين" رواه البخاري رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله: "والحكمة حكمتان: علمية وعملية، فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرا و قدرا وشرعا والعملية: هي وضع الشيء في موضعه.

وقال: فالحكمة إذا: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه.. فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا، ولها ثلاثة أركان: العلم والحلم والأناة وآفاتها وأضدادها: الجهل والطيش والعجلة فلا حكمة لجاهل ولا طائش ولا عجول والله أعلم" المدارج 498/2-500-499.

واعلم أن مقتضى الحكمة أن يراعي الداعية المقام وأحوال الناس فيستعمل الأساليب المناسبة للحال والمقام، فليس الناس بسواء في الفهم والعلم، وليسوا بسواء في القبول والانقياد فليستعمل مع كل شخص ما يناسبه.

ومن الحكمة -كذلك- الدعوة بالعلم، لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين. انظر "تيسر الكريم الرحمن"633، و"الصحوة الإسلامية "122.

ومن عظيم حكمة سلفنا الصالح ما جاء في ترجمة حاتم الأصم (الزاهد القدوة الرباني.. الواعظ الناطق بالحكمة، الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يقال له: لقمان هذه الأمة "أي حكيمها") السير484/11-485.

قيل: "إنه لقب بالأصم لأن امرأة سألته مسألة، فخرج منها صوت ريح من تحتها، فخجلت، فقال لها: ارفعي صوتك، وأراها من نفسه أنه أصم، حتى سكن ما بها، فغلب عليه الأصم" انظر "طبقات الاولياء" 178، و"النجوم الزاهرة" 291/2.

فاللهم ارزقنا الصواب، والحكمة وفصل الخطاب.

من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد

في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد". وفي رواية للبخاري "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي رواية لأحمد رحمه الله بإسناد صحيح على شرط مسلم: "من صنع أمرا من غير أمرنا فهو رد".

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: "الأعمال بالنيات" كميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله، فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء"جامع العلوم والحكم 176/1-177.

قال تعالى : {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة".تفسير ابن كثير 120/4.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "والمعنى: ألهم آلهة (شرعوا) أي: ابتدعوا (لهم) دينا لم يأذن به الله؟ "، زاد المسير 272/7.

فقوله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا): يقتضي العموم لتنكير "العمل"، وهو لم يقل: من عمل كذا أو كذا... والمعنى: من أحدث وابتدع بدعة وحدثا.

انظر "إشراقة الشرعة" 82.

(ليس عليه أمرنا) المراد بالأمر هنا: واحد الأمور، وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، كما قال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار"2/96-70.

الابتداع لغة وشرعا

لغة: قال العلامة الطرطوشي المالكي رحمه الله: "أصل هذه الكلمة من الاختراع وهو الشيء يُحدث من غير أصل سبق، ولا مثال احتذي، ولا أَلِف مثله"اهـ الحوادث والبدع40.

> **واعلم أن جنس البدع أحب إلي إبليس من جنس المعاصي لأنها تمس أصل الدين.**
> **قال سفيان الثوري رحمه الله :**
> **"البدعة أحب إلى إبليس من المعصية. المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها" اهـ، أي: لا يرجع عنها.**

أما شرعا: فقال العلامة المالكي أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله :

"البدعة، طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"اهـ الإعتصام421.

وملخص مقاصد كلامه رحمه الله:

(طريقة في الدين): الطريقة والطريق، والسبيل، والسنن:هي بمعنى واحد، وهو ما رسم للسلوك عليه.

وإنما قيِّدت بالدين لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها.

(مخترعة): لما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها، خُصَّ منها ما هو المقصود بالحد "أي: التعريف" ، وهو القسم المخترع أي: طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشرع ، إذ البدعة إنما خاصيتها أنها خارجة عما رسمه الشرع.

(تضاهي الشرعية): يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه كثيرة، منها: التزام كيفيات وهيئات معينة دون إذن من الشرع بذلك، ومنها التزام عبادات معينة لم يوجد لها ذك التعيين في الشريعة.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى): هو تمام معنى البدعة، إذ هو المقصود من إحداثها..

أما قوله صلى الله عليه وسلم: (فهو رد): قال التفتازاني رحمه الله في "شرحه على الأربعين": "أي: فذلك المُحْدِث مردود عن جنابنا، فإن الدين اتباع آثار الآيات والأخبار، واستنباط الأحكام منها، وقد كمل الدين كما أشار إلى ذلك الكتاب المبين، وأما ما أحدثه فهو مردود فلا تقبلوه، فإن الدين غيره، فالضمير إما إلى الشخص أو الأمر [أي: المُحْدَث] ، والأول أبلغ، والثاني أظهر" اهـ.

واعلم أن جنس البدع أحب إلى إبليس من جنس المعاصي لأنها تمس أصل الدين.

قال سفيان الثوري رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية. المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها" اهـ، أي: لا يرجع عنها.(تلبيس إبليس13)، وذكره البغوي رحمه الله في شرح السنة216/1.

وبعد كل هذا ترى صاحب البدعة قد جازف وخالف، وأورد نفسه المهالك بخوضه في تلك المسالك، يظن عمله مقربا إلى الله، وهو يجهل أو يتجاهل أن الزلفى تكون بما شُرع لا بما ابتدع، بل هو عَمِيٌّ عن كونها مبعدة عن الله تعالى،ومسبِّبة في سخطه عز وجل لأنه سبحانه لا يؤجر أحدا على عمل إن لم يكن قد أمره به، أو شرعه له بل يعاقبه عليه لتنصيب نفسه ذلك المنصب ف "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" أي: يستحق صحابها النار.

قال بعضهم:

ما النور إلا في الحديث وأهله
إذا ماد في الليل البهيم أظلما
وأعلى البرايا من إلى السنن اعتزى
وأعمى البرايا من إلى البدع انتمى

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

- إعداد: نبيل غـزال

لماذا اخترنا الملف

إن أساس عناية الإسلام بالأسرة حضه على الزواج وترغيبه فيه، لأنه أساس تكوين الأسرة المسلمة، وبالتالي تكوين المجتمع المسلم، وقد وردت نصوص كثيرة تحث على الزواج وترغب فيه عند الاستطاعة، ومعنى ذلك أن الإسلام حريص على تكوين الأسرة المسلمة وكثرة أفرادها بالزواج، ليعيش الطفل المسلم بين أبويه ينهل من رعايتهما وعطفهما، فقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الأطفال الذين يعيشون بين أبويهم أقوى جسماً وعقلاً وعاطفة من أطفال الملاجئ.

إن موضوع «الأسرة و المرأة» بات أبرز المواضع التي تتناولها بالطرح التجمعات والفعاليات الاجتماعية في العالم، والمنظمات والجمعيات (الحكومية وغير الحكومية) التي ترفع لواء الحرية والمساواة وحقوق الإنسان.

فقد أصبح الشغل الشاغل لتلك التجمعات والمنظمات: السعي لعولمة الحضارة الغربية ممثلة في الحياة الاجتماعية لتلك الدول، وذلك من خلال تقنين الإباحية والرذيلة، ومن خلال محاولة تعميم الشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة، لأنها في زعمهم أكبر عائق من عوائق التقدم والازدهار، فهي أقدم مؤسسة اجتماعية يدّعون أن الرجل تسلط من خلالها على المرأة، ومارس من خلالها عليها أشكال القهر، ومن أجل التحرير المزعوم للمرأة فإنهم يرون ضرورة التخلص من شيء اسمه «الأسرة»، ولو أدى ذلك إلى التمرد على كل التعاليم الدينية، والمبادئ الفطرية، التي أرست دعائم الشعوب والأمم على مرّ التاريخ البشري.

تلك هي رؤيتهم التي دأبوا على بثها بكل وسيلة ممكنة، وذلك هو برنامجهم الذي لم يسأموا من السعي لتحقيقه في الواقع، وفرضه بالقوة مستعينين بأمور أبرزها: الإعلام بشتى أنواعه (المقروءة والمسموعة والمرئية) ومؤسسات الهيمنة الدولية وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي.

ففي السنوات الأخيرة، كشف دعاة الحركات النسوية ونشطاء حقوق الإنسان جهودهما من أجل نقل تصوراتها وأفكارها من حيز الكلام التنظيري إلى حيز التنفيذ العملي، ومن الأطر الثقافية، والأخلاقية، والاجتماعية الخاصة ببعض الشعوب والحضارات الغربية إلى النطاق العالمي العام مستغلين طغيان موجة العولمة، وذلك بإقامة مؤتمرات من خلال هيئة الأمم المتحدة.

واعتبارا لما ذكر أعلاه ارتأينا اختيار ملف الأسرة ،منبهين إلى أننا لن نتطرق إلى مدونة الأسرة الجديدة وذلك لكونها قد تعرضت لما يكفي من الانتقادات وتنوولت بالبحث والدراسة والكل يعلم الظروف التي خرجت فيها إلى الوجود.

مفـهـوم الأسـرة

تذكر الأديان جميعا أن أول بادرة للعيش على سطح الأرض كانت اجتماعية، فقصة نبي الله آدم عليه السلام معروفة ومذكورة في الكتب السماوية جميعاً، في كيفية إنزاله من الجنة إلى الأرض وحلوله وزوجه فيها، فآدم لم يعش يوماً بمفرده على سطح الأرض، وحواء لم تكن كذلك أيضاً.

إلا أن اصطلاح الأسرة الذي يطلق على الزوجين وأولادهما قد انتقده علماء اللغة، قال الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي الحسني المغربي رحمه الله تعالى في كتابه الماتع "تقويم اللسانين" (ص:46).

"الأسرة: ومن تعبيرهم عن أهل البيت الواحد بالأسرة، وهو من استعمال جهلة المترجمين، ترجموا به لفظ (Family) الإنجليزي وأخيه الفرنسي، وكانوا يترجمون هذا اللفظ من قبل بعائلة فعاب ذلك عليهم النقاد، لأن العائلة في اللغة العربية هي المرأة الفقيرة قال تعالى في سورة الضحى: "وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى" أي وجدك فقيرا فأغناك، وقال تعالى في سورة التوبة (28) : "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله" أي إن خفتم فقرا، فانتقلوا إلى ترجمته بـ (أسرة) وهو انتقال من خطأ إلى خطأ آخر، والعبارة الصحيحة هي: بيت، أو أهل بيت، قال تعالى في سورة هود 73: "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"، وقال تعالى في سورة الأحزاب: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا" فأهل البيت في آية هود: إبراهيم وسارة زوجه ومن يكون معهما على سبيل التبعية ونحوها. والمراد بأهل البيت في آية الأحزاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأولاده والتابعون كالموالي.

وقال تعالى في سورة الذاريات 36 "فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين" والمراد بالبيت هنا لوط وأهل بيته إلا امرأته، فإن الله استثناها من الناجين وجعلها من الهالكين، أما معنى الأسرة فدونك ما قاله صاحب اللسان .

قال ابن منظور رحمه الله: مادة (أَسَر)، "أُسرةُ الرجل: عشيرتُه ورهطُهُ الأدْنَوْنَ لأنه يتقوى بهم، والأُسرة عشيرة الرجل وأهل بيته" لسان العرب (141/1).

وقال تعالى في سورة الإنسان 28: (نحن خلقناكم وشددنا أسركم) قال البيضاوي: أحكمنا ربط مفصلهم بالأعصاب.اهـ

فالأَسْرُ هو إحكام الربط وقوته، ومن ذلك سميت عشيرة الرجل (أسرة) لأنه يتقوى بهم.

وقال الصبان في حاشية الأشموني عند قول ابن مالك في التنازع في العمل من ألفيته: (واختار عكسا غيرهم ذا أسرة).

ما نصه: ضبطه الشيخ خالد بفتح الهمزة، وفسره الغزي: بالجماعة القوية، لكن في القاموس: الأسرة (بالضم) الدرع الحصينة، ومن الرجل الرهط الأدنون".

وأضاف الدكتور تقي الدين: "أما قولهم أسرة المدرسة، يعنون المدير والمدرسين فيها، وأسرة تحرير الصحيفة، يعنون مؤسسها والمحررين فيها ورئيس التحرير، فله وجه، وهو مقصود ابن مالك المتقدم: (واختيار عكسا غيرهم ذا أسرة).

أي ذا جماعة قوية، شبه المتعاونين على أمر الأقارب، فاستعير لهم لفظ الأسرة بجامع التعاون في الكل". اهـ

جاء في كتاب الله -عز وجل- ذكر الأزواج والبنين والحفدة، بمعنى الأسرة، قال تعالى: (والله جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِن أَزوَاجِكُم بَنِين وَحَفَدَة وَرَزَقَكُم مِن الطَّيِّبَات أَفَبِالبَاطِل يُؤْمِنُون وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرُون) النحل 72.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: "يُخبر تعالى عن منَّته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجا، ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تَقَرُّ بهم أعينُهم ويخدمُونهُم، ويقضُون حوائجَهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من المآكل، والمشارب، والنعم الظاهرة، التي لا يقدر العباد أن يحصوها" تيسير الكريم الرحمن.

... يمكننا على ضوء تعاليم ديننا الحنيف أن نعرف الأسرة التي كانت ولاتزال محطَّ الرعاية والاهتمام من قبل الأديان السماوية قاطبة، فنقول:
الأسرة: هي المؤسسة الاجتماعية التي تنشأ من اقتران رجل وامرأة بعقد يرمي إلى إنشاء اللبنة التي تساهم في بناء المجتمع، وأهم أركانها، الزوج والزوجة والأولاد.

أما التعاريف الغربية للأسرة فلا تستجيب للمعنى السَّوي المتعارف عليه بين الناس، فقد عرَّف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الأسرة في البند السادس عشر منه بأنها:

«الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة» (أصول الفكر التربوي في الإسلام ص254).

ويرد على هذا التعريف بأنه غير مانع، فهو لم يحدد على وجه الدقة طبيعة هذه الوحدة التي يحق لها التمتع بحماية المجتمع والدولة، فهناك الكثير من الوحدات الاجتماعية التي ينطبق عليها هذا التعريف كبعض التجمعات والمنظمات، إلا أن هذا التعميم مقصود حتى يشمل زواج المثليين.

هذا إضافة إلى إهمال تعريف الأركان الأساسية التي تتكون منها الأسرة وكيفية نشوئها.

- وأجمل بعضهم في التعريف حيث جعل من الأسرة:

«النواة الطبيعية للمجتمع، وهي أقدم المؤسسات الاجتماعية»(تنظيم الأسرة فكراً وواقعاً وطموحاً ص14).

ويرد على هذا التعريف ما ورد على التعريف الأول، من كونه غير مانع، وإهماله للأركان التي تتكون منها الأسرة.

ويمكننا على ضوء تعاليم ديننا الحنيف أن نعرف الأسرة التي كانت ولاتزال محطَّ الرعاية والاهتمام من قبل الأديان السماوية قاطبة، فنقول:

الأسرة: هي المؤسسة الاجتماعية التي تنشأ من اقتران رجل وامرأة بعقد يرمي إلى إنشاء اللبنة التي تساهم في بناء المجتمع، وأهم أركانها، الزوج والزوجة والأولاد.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

من مظاهر تفكك الأسرة

مقـــدمــة

نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقدت الأسرة كثيراً من وظائفها الرئيسة، فأضحت تواجه ـ في العصور الحديثة ـ مشاكل عدة أدت إلى تفكك عراها، وانهيار روابطها، مما أثر سلبا على المجتمعات على اختلاف هوياتها، فأشد المجتمعات تمسكا بالمنظور الجديد للأسرة -المتمثل في التوجه "الفرداني" الذي يركز على الفرد بدل الأسرة- هي أكثر الدول التي تعرف ارتفاعا مهولا في نسب الأطفال المنجبين خارج إطار مؤسسة الزواج، حيث بلغت نسبتهم في السويد مثلا (65 في المائة)65% في سنة 2003 من مجموع الولادات، هذا البلد يعتبر من أكبر الدول الديمقراطية التي تطبق جميع اللوائح والتوصيات الدولية، مما يظهر جليا أن عدم حماية مؤسسة الأسرة من التفكك الناتج عن المبالغة في النظرة الفردية للمجتمع يجعل هذا الأخير عرضة لمخاطر لا يمكن التنبؤ بفداحتها .

ولعل من أعجب ما يطرح في ساحة النقاش في الآونة الأخيرة القول بإهمال شؤون الأسرة، وترك الحديث والبحث عنها، لأنها لا تؤثر في تطورنا الاجتماعي، بل إنها مصدر من مصادر الاستغلال يجب تحطيمها كما أعلنته الماركسية في بداية تطبيقها زاعمة أن الرجل يستغل زوجته وأولاده فيتخذهم أدوات (إنتاج .بيان الحزب الشيوعي: ص69، طبع دار التقدم في موسكو).

وأصر "إنجلز" على ذلك فقال: (ولا تعود العائلة الفردية بتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة، الوحدة الاقتصادية للمجتمع، وتصبح إدارة المنزل الخاصة صناعة، وتصبح العناية بالأطفال، وتربيتهم قضية عامة، إذ يأخذ المجتمع على عاتقه تربية جميع الأطفال على حد سواء أكانوا ثمرة زواج أم لم يكونوا، وبهذا يختفي الخجل الذي يساور قلب الفتاة من جرّاء النتائج التي هي في زماننا أهم عامل اقتصادي خلقي يعوق الفتاة من استسلامها بحرية إلى الشخص الذي تحبه).أصل العائلة، ص81، ويراجع في معرفة المزيد من ذلك النظام الشيوعي، ص50.

"والواقع أن من مخاطر المجتمعات الحديثة الرئيسة، أن الدور الطبيعي الذي كانت تقوم به الأسرة يتضاءل نتيجة لاستيلاء مؤسسات أخرى على كثير من مسؤولياتها ونخشى نتيجة التضاؤل أن تفقِد الأسرة الأثر الفعّال، الذي هو من أهم قوى الاستقرار في المجتمع..".

المظهر الأول: خروج المرأة من بيتها بحثا عن عمل

إن خروج المرأة من بيتها واقتحامها لسوق العمل أوجب حرمان أطفالها من التمتع بحنانها وعطفها وتربيتها، ومن الطبيعي أن تغذيته الاصطناعية وتعهد المربية لشؤونه لا يسد مسدّ حنان الأم وعطفها، فقد أثبتت التجارب العلمية أن الطفل لا ينمو، ولا يترعرع على حليب أمه فحسب، بل على عطفها وحنانها، وهذا الغذاء العاطفي لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته.

وقد نعى على المرأة خروجها من بيتها جمعٌ كبير من المفكرين والمختصين في مجال التربية والاقتصاد والنفس.

يقول الفيلسوف "برتراند رسلس": (إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة.(الإسلام والحضارة العربية، ج2، ص92).

ويقول الاقتصادي "جون سيمون": (النساء قد صرن الآن نسّاجات وطبّاعات، وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوّضن دعائم أسرهن تقويضاً، نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته، ولكن إزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله).(مجلة المجلات: ص17).

ويقول العالم الاجتماعي زأوجست كونتز، جواباً عن سؤال قدمته "هيركور" تسأله عن رأيه في المرأة فأجابها: "إن حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية إذا جرت على النسق الذي تريدينه، كما هو حالة الرجل، فيكون أمرها قد انتهى فإنها تصير مستعبدة مملوكة".(دائرة معارف وجدي: ج8، ص605-606)

وتقول الكاتبة "أني رورد": (لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة، والعفاف والطهارة... الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، نعم إنه العار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال سلامةً لشرفها).(مجلة المنار: ج4، ص486).

تقول السيدة أمينة السعيد: (إن الجهل ما زال منتشراً في النساء، وإن التشريعات العائلية بصورتها الراهنة أحق بالعلاج من دخول البرلمان.. والبيت في رأيي جنة، ما بعدها جنة، واستقرار المرأة فيه يعادل آلاف الحقوق السياسية).(علمتني: ص24).

هذه بعض الآراء التي أدلى بها جمع من المفكرين -وهي من دون شك ـ تحمل طابعاً كبيراً من السمة العلمية، فإن خروج المرأة من بيتها، ودخولها في المعامل والشركات، ومزاحمتها للرجل في ميادين لا تليق بأنوثتها، أدّى إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في تربية النشء فإنها لا تعود إلى بيتها إلا وقد أضناها العمل واستنزفت الأتعاب جميع قواها، فكيف تتمكن من تربية أطفالها تربية سليمة؟

المظهر الثاني: عزوف الشباب عن الزواج وعلاقته بالزنا

إن أخطر شيء يهدد كيان الأسرة في جميع أنحاء العالم، هو تضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه إلى حد كبير، فإن الحضارة المادية الحديثة قد جعلت المرأة متاعاً رخيصاً، وسلعة مبتَذَلة، حتى امتنع الكثيرون من الشباب عن الزواج لأن ما ينشدونه من المتعة الجنسية قد صار بمتناول أيديهم فإذن لماذا يقدمون على الزواج ويعانون أعباءه وأثقاله.

قال أحد المفكرين: "يمتنع الشباب عن الزواج، لأن الزواج قيد يحجزه عن الخوض فيما شاء من اللذة المتجددة، فقد أقبلت عوامل التطور الحديث على كثير من المجتمعات الغربية بحريات واسعة في الفكر والقول والعقيدة والسلوك الخاص، وأنشأت لهم أهدافاً في المال والمنفعة واللذة الحسية تعارض ما كان لهم من أهداف روحية ومقاييس لمعاني العِرْض والعفة، وصار لكل منهم حريته الواسعة في حياته الخاصة يفعل منها ما يريد دون رقابة من قانون أو تحرج من عرف، بل يفعل ما يريد بتحريض من العرف وعطف من المجتمع.

وكان من ذلك أن تفجّرت الشهوات، وسادت عبادة الجنس، وراج جنون اللذة، يستبد بألباب كثير من أفراد تلك المجتمعات، فرأوا في الزواج قيداً يحد من حرياتهم في ابتغاء ما يريدون، فنبذوا حياة الأسرة، وركنوا إلى المخادعة، فكلما فترت رغبة أحدهم في خليلته أو فترت رغبتها فيه انصرف كل منهما عن صاحبه حيث يجد اللذة في رغبة جديدة وشوق أشد.

ولا شك أن ذلك يفضي إلى قلة النسل أي تناقص عدد السكان، وضعف الأمة في مقوماتها المادية ومقوماتها المعنوية، وقد ظهرت آثاره السيئة منذ عشرات السنين في بعض البيئات الأوربية، وأخذت في الازدياد والاتساع حتى شملت كثيراً من الدول.

وها نحن نرى كثيراً من "علماء الاجتماع!" يدقون نواقيس الخطر، وينذرون أممهم ـإذ تُهمل حياة الأسرةـ سوء المصير، بانهيار الأخلاق وانحلال روابط المجتمع، وانقراض النسل، ولقد وفق المارشال "ربيتان" غداة احتلال الألمان لفرنسا في الحرب العالمية الأخيرة، إذ ينادي قومه إلى الفضيلة، ويعزو الهزيمة إلى هجر حياة الأسرة فكان مما قاله:

"زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة في الميزان، إنكم نبذتم الفضيلة، وكل المبادئ الروحية، ولم تريدوا أطفالاً، فهجرتم حياة الأسرة، وانطلقتم وراء الشهوات".

إن الدولة ـ باسم الإسلام ـ مكلفة أن تعنى أعظم العناية بإنشاء الأسر، وحياطتها، وتوفير ضمانات الاستقرار لها، وتتصدى لما تحدثه الظروف الاقتصادية والثقافية والسياسية من آثار تَمُسُّها، نعم هي مسؤولة عن ذلك مسؤوليتها عن التموين والتعليم والدفاع، وما أشبه هذه الأغراض التي لا يمكن تركها للأفراد لأنها من صميم عمل الدولة...(حقوق الإنسان، ص115-116).

المظهر الثالث : انفصال الأبناء عن آبائهم

أما المظهر الثالث من مظاهر انحلال الأسرة فيتجلى في الشرخ الكبير والمتمثل في انفصال الأبناء عن آبائهم انفصالاً متميزاً في الرأي والعقيدة والاتجاه، فقد عملت التربية الحديثة بما تملك من طاقات مادية وحضارية على تزهيد وتشكيك الناشئة بقيم الآباء وعاداتهم وأفكارهم، وأصبح الأبناء ناقمين على مُثل سلفهم، نتج من ذلك نضال فكري وثوري على المثل القديمة، والنبذ لكل ما يعتنقه الآباء من القيم والتقاليد الاجتماعية، كما نتج صراع آخر عنيف وحاد فيما بينهم، فالآباء دوماً يشكون ما يعانونه من عقوق أبنائهم، وسوء آدابهم، ويحكون صوراً متنوعة من جفائهم، وعدم حشمتهم، ومقابلتهم بالقسوة والحرمان.

إن التغيُّرات الحادثة في نظام الأسرة وغيرها من الأنظمة التربوية والاجتماعية قد أنتجت تمرد الأبناء، وخروجهم عن حدود الطاعة، وهيهات أن تعود إلى طبيعتها الأولى دون العمل على تهذيب الطباع والغرائز، وذلك بتربية النشء على المفهوم الشرعي للأسرة المبني على معاني تحقيق العبودية لله تعالى عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله سائل كل راع عمّا استرعاه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"، وكل هذا إنما نشأ عن الفهم والتطبيق المغلوط لمفهوم الحرية.

إن انحراف الناشئة وفساد سلوكها يستند إلى مُيُوعَة الأسرة وانحلالها الناتج بالأساس عن تخلي الوالدين عن مسؤوليتهما التي أناطها بهما الله الحكيم العليم، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن كفة إصلاح الأسرة ترجح بسائر التدابير الإصلاحية والتربوية الأخرى، فهي المدرسة الأولى التي تؤثر أثراً مباشراً على السلوك والتوجيه، فمنها يتخرج الأستاذ والطبيب والإداري والوزير.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

صور من اعتناء السلف بتربية النشء

إن الأسرة المسلمة أسرة ملتزمة بشرع ربها، مقتفية هدي نبيها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقد جسَّد سلفنا الكرام الصورة المثالية لهذه الأسرة، فأعطوا العناية والأهمية الكبرى لتربية النشء، فكان بعضهم يأتون بمربين أفاضل تتوفر فيهم الخبرة الكافية والمقدرة العالية لتربية النشء الذي يُرجى أن يكون من صفاته الشهامة والرجولة، والنخوة والفحولة، والكرم والشجاعة، والشدة والبأس والفروسية، والنجدة ومكارم الأخلاق، وكانوا لا يبخلون في سبيل تحقيق ذلك بِغال ولا نفيس.

فهذا عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده ومعلمه: "علمهم الصدق كما تعلمهم الآية من القرآن، وجنِّبْهم السَّفَلة، فإنهم أسوأ الناس ورعًا، وأقلهم أدبًا، وجنِّبهم الخدم فإنهم لهم مفسدة (ليعتمد على نفسه في قضاء حوائجه)، وأطعمهم اللحم يقوَوْا، وعلمهم الشِّعر يمجدوا وينجدوا (يرتفعوا)، ومُرهم أن يستاكوا (بالسواك) عرضًا، ويمصوا الماء مصًّا ولا يعبّوه عبًّا، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب (تأديب وتوبيخ) فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الفاشية (أي الذين يفشون الأسرار).

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدِّبِ ولده: "إن ابنِي هذا جلدة ما بين عينيَّ وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روِّه من الشِّعر أحسنه ثم تخلل بِه في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم، وبصِّره طرفًا من الحلال والحرام، والخطب والمغازي".

وقال الرشيد لمعلمِ ولده الأمين: "إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السُّنن، وبصِّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تَمُرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تُحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقُرب والملاينة، فإنْ أباهما فعليك بالشدة والغلظة".

بهذه الهمة العالية والنصائح الغالية كان كبار القوم وعِليَتهم يحرصون على تربية أبنائهم، أما من لم يتيسر له المال في إلحاق ولده بمعلم فكان يذهب به إلى البادية ليقيم مع العشائر البدوية فترة من الزمن، يتعلم من حياة البادية الصفات العربية الأصيلة والعادات الكريمة، والشِّيم النبيلة كالكرم والشجاعة والنخوة وإغاثة اللهفان ومعاونة الضعيف وغير ذلك، وكل ذلك يتم في جو لا وجود فيه للصفات الهدامة والمبادئ المخربة للعقول والسلوكيات، فكانوا يَنشؤون رجالاً بمعنى الرجولة وأفذاذًا ذوي فحولة.

أما في عصرنا الحالي فقد تغيَّر الحال تمامًا مع النشء، غنيّهم وفقِيهم، فمعلمهم جميعًا يبث لهم ليل نهار علومًا يجلسون لتلقيها فاغرة أفواههم، شاخصة أبصارهم كأن على رؤوسهم الطير، يجلس أبناؤنا أمام ذلك المربي الساعات الطوال دون ملل أو كلل، لا يصرفهم إلا ذبذبة العينين من كثرة المشاهدة، وتهالك الجسم من طول المتابعة والسهر، فينصرفون وقد تشربوا تعاليم وثقافة وأخلاقًا وأفكارًا وأساليب في الحياة من ذلك المربي المقيت الذي لابد للقارئ الحكيم أن يكون قد عرفه، ألا وهو الإعلام المنحرف.

إن أخطر ما تواجهه الأسرة المسلمة اليوم، ذلك الغزو الوافد إلينا عن طريق القنوات الفضائية، تلك الفتنة التي لم يبق بيت من بيوت إلا دخلته، فمع بداية كل يوم تبدأ جيوش من وسائل الإعلام نشاطها المحموم لتغزو الأسرة، وتقتحم على المسلمين في الغرفات خلوتهم، مئات من الفضائيات تلعب دورا خطيرا لقلب مفاهيم الأسرة مستهدفة جميع شرائحها، مسخرة كافة أدواتها وإمكاناتها لنشرِ الفكر الانحلالي الغربي.

أمام هذه الجحافل المخرِّبة كان لزاما على المسؤولين عامة والأباء خاصة حماية الأسرة من هذا الغزو الكاسح، استشعارا منهم لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" التحريم 6.وقال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته".

ولما كانت تربية الأطفال هي الخطوة الأولى التي تبدأ بها الأسرة مهماتها، فلا بد من العناية التامة بذلك الغراس الفتي واللبنات اللينة حتى تشب على أساس متين وفكر سليم وسلوك قويم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول".

المخاطر التي تواجه الأسرة من الداخل

تواجه الأسرة المسلمة مخاطر عديدة ومتنوعة، نعرض لأبرزها بإيجاز:

1- التناقض في أقوال الوالدين وسلوكياتهم:

بعض الآباء والأمهات يتناقضون في معاملاتهم، فتجدهم اتجاه أبنائهن يأمرون بأمور وهم يخالفونها، ومعلوم أن مثل هذه السلوكيات تسبب تناقضا لدى الأطفال، فالأب الذي يكذب يعلم أبناءه الكذب، وكذلك الأم التي تخدع جارتها بمسمع من بنتها تعلم ابنتها مساوئ الأخلاق.

2 - الانفصام بين المدرسة والأسرة:

الانفصام بين دور الأسرة في الرعاية والتوجيه، ودور المدرسة في التربية والتعليم، له آثار سلبية عديدة، لذا ينبغي مد جسور التعاون بين الأسرة والمدرسة، وإيجاد جَو من الثقة والتعاون في سبيل الرقيٍّ بالأبناء قدما نحو البناء والعطاء.

3 - وسائل الإعلام:

تؤكد نتائج الأبحاث والدراسات بما لا يدع مجالا للشك أن الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة، وأن شخصيته وهي في مراحل تكوينها تخضع لضغوط سلبية متنوعة .. يقول "شمعون بيريز" رئيس وزراء "إسرائيل" السابق: "لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكنه ذلك الطبق الصغير الذي يرفعونه على أسطح منازلهم" (الأطفال ومشاهدة العنف في التلفزيون لعبد الرحمن غالب ص88).

4 - الفراغ وعدم الإفادة من الوقت:

ينبغي أن تشغل أوقات فراغ الأبناء بما يعود عليهمٍ بالنفع والفائدة، قال صلى الله عليه وسلم: "نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصِّحة والفراغس البخاري، إن إغفال هذا الجانب المهم والحساس من طرف الآباء يدفع الأبناء للبحث عن سبب للتسَلية والترفيه متأثرين في ذلك بوسطِهم ومحيطِهم، فارتياد الأطفال لمنتديات الإنترنت مثلا خارج أي رقابة كفيل بأن ينقض كل عرى التربية فيهم،

> **إن من أهم صفات المجتمع المسلم أنه مجتمع لا تطفو الشهوة على سطحه أبداً وإنما هي شهوة موجهة ومرتبة و محاطة بهالة عظيمة من الآيات والنصوص والأوامر والنواهي، تسير في طريق مضبوطة لا تحيد عنها قيد أنملة، وإن حادت فإنها تقوَّم وتعاد إلى ما كانت عليه أول مرة.**

لذا كان لزاما على الآباء تعويد أبنائهم حضور مجالس الذكر وحلق العلم، وتلاوة القرآن الكريم، وقراءة قصص الصحابة والصالحين، ومشاهدة البرامج والرسوم المفيدة والنافعة، مع عدم إغفال جانب التسلية والترفيه لديهم، وتبقى الرعاية والحرص عليهم ومصاحبتهم خاصة خلال فترة المراهقة الحرجة، أبرز عوامل حفظ الأطفال من الانحراف والانغماس في براثين الشبهات والشهوات.

قال ابن القيم رحمه الله: إن أعداء الدين يحاربون المسلمين بسِلاحين:

- سلاح الشهوات لإفساد سلوكهم.
- سلاح الشبهات لإفساد عقولهم.

وربما يكون استخدام سلاح أكثر من سلاح آخر.. في فترة محددة أقوى وأكبر. اهـ

فقد كان سلاح الشبهات فيما مضى قوياً فكانوا تارة يشككون بالقرآن وتارة يشككون بأحكام الإسلام، .. ويستأجرون بعض الأشخاص ليبثوا بين أفراد المسلمين شبهات بوسائل عديدة، ولكن اليوم توجهوا إلى سلاح آخر هو سلاح الشهوات وجندوا أغلب قوتهم من أجل ذلك وساعدهم ميل النفس الإنسانية لهذه الشهوات.

إن من أهم صفات المجتمع المسلم أنه مجتمع لا تطفو الشهوة على سطحه أبداً وإنما هي شهوة موجهة ومرتبة و محاطة بهالة عظيمة من الآيات والنصوص والأوامر والنواهي، تسير في طريق مضبوطة لا تحيد عنها قيد أنملة، وإن حادت فإنها تُقوَّم وتعاد إلى ما كانت عليه أول مرة، وإذا كنا نتكلم عن الأسرة المسلمة وهي جزء من المجتمع المسلم فكذلك تكون الشهوة في البيت شهوة مضبوطة وموجهة ومهذبة ومرتبة لا تكون شهوة عشوائية يسمح لها أن تنمو دون تهذيب، لذلك وجه الإسلام المسلمين إلى ضبط أمور الشهوة في بيوتهم لما له من الآثار السلبية الكثيرة، وذلك عبر أحكام وآداب منها:

- آداب الاستئذان.
- أحكام ستر العورة أمام الأجانب، وبين المحارم.
- التفريق بين الأطفال في المضاجع.
- التربية على الحياء والحشمة.

وغيرها كثير .

الأسرة في المؤتمرات الدولية

هل بالفعل يمكن الحديث عن مفهوم الأسرة الإسلامي في توصيات المؤتمرات الدولية؟

بهدف تقديم تعريف للأسرة والقيم التي تتعلق بها، عملت الأمم المتحدة على إعداد صياغة جديدة وموحدة لمفهوم الأسرة وتبني استراتيجية موجهة بحيث يصبح مقياس النمو والتطور في المجتمعات يعتمد على الأسرة بدلاً من الفرد، وبالتالي أن تصبح الأسرة هي الوَحَدَة الطبيعية للمجتمع، وأن تراعي الدول في سياساتها وقراراتها الأسرة.

إنَّ ما حدث في "مكسيكو سيتي"بالمكسيك عام 1975م، والذي رفع لجلساته شعاراً لا يخلو من دلالة، وهو (رفع التمييز ضد المرأة) وتبع هذا المؤتمر مؤتمر آخر في "كوبنهاجن " بالدنمارك عام 1980م، ثم المؤتمر الثالث للمرأة ب"نيروبي" في كينيا عام 1985م، ومؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة في مصر عام 1994م، الذي دعا بشكل صريح، وبما اصطدم مع المشاعر الدينية للمسلمين في مصر والعالم الإسلامي، إلى إباحة الجنس وتقنين الإجهاض، وتبنت الوثائق الصادرة عن هذا المؤتمر مصطلحاً غريباً على أذن كل مسلم، بل وكل سَويٍّ الفطرة، وهو (مصطلح المتحدين أو المتعايشين).

جاء في الـ(أساس9)، (5,1) من وثيقة المؤتمر بخصوص تعريف الأسرة: أن "**الأسرة توجد على أشكال وأنواع مختلفة**"، ألا تبدو هذه الصياغة دعوة صريحة لقبول زواج "المثليين" الذي انتشر بصورة كبيرة، في ظل مباركة الكنيسة ورجال الدين في أوروبا وأمريكا؟ ومنها قبول أسرة المعاشرة غير الشرعية، وأسرة المخادنة. وهذا أمر يتناقض مع مبادئ ديننا الحنيف، بل فيه مصادمة لأوامر الله تعالى. فلا سبيل في الإسلام لتكوين أسرة إلا عن طريق الزواج القائم على عقد بين الرجل والمرأة وفق القواعد الشرعية المنظمة لذلك.

وفي قبول زواج المثليين وإيجاد أسر تتشكل من "مثليي الجنسس دعوة لهدم الأساس الذي بنيت لأجله الأسرة ووجدت، فالأسرة تمر بمراحل وعهود أولها زواج ثم إنجاب ثم تربية أولاد وهكذا.. فهل يعقل في أسرة المثليين أن يحدث هذا؟! أم أن الأسرة في المستقبل ستعرف تغييراً في تركيبتها الأساسية التي تقوم على الرجل والمرأة، وتغييراً في وظيفتها التي تقوم على الإنجاب وإيجاد النسل؟

وشهدت أروقة مؤتمر القاهرة وجلساته مناقشات حول سبل تعميم ثقافة الخصوصية الجنسية، وإباحة الممارسات الشخصية في هذا الصدد للرجل والمرأة على حد سواء -بغض النظر عن عدم اتفاق هذه الممارسات مع الشرائع الدينية، وأعراف المجتمعات وقوانينها- وإتاحة المعلومات الجنسية للمراهقين، والدعوة إلى عدم انتهاك خصوصيتهم من قبل أسرهم وعائلاتهم، وإلغاء الممارسات والنصوص القانونية التي تحد من ممارسة الأفراد لحرياتهم الجنسية، باعتبار أن مسألتي الجنس والإنجاب هما من صميم الحريات الشخصية للمواطنين.!

وبعد مرورٍ عام عن مؤتمر القاهرة، شهدت هذه المسائل تكثيفاً شديداً في الطرح والتناول بمشاركة 36 ألفا مشارك، ضمن وفود رسمية وغير رسمية من مختلف أنحاء العالم وذلك في العاصمة الصينية "بكين" عام 1995.

واستفاضت وثائق هذا المؤتمر في الحديث حول أنماط من الأسر التي تختلف باختلاف الميول الجنسية والسلوكية للأفراد، واعتبرت أن الأسرة يمكن أن تتكون من زوجين (رجل ورجل) أو (امرأة وامرأة)، فوثائق الأمم المتحدة قدَّمت مفهوما للأسرة يعارض المفهوم ذاته في الأديان جميعها، وذلك عندما استخدمت مصطلح (اقتران) بدلاً من الزواج، لتفتح بذلك الطريق أمام تكريس ما سبق أن أقرَّت به كنائس مختلفة في بعض بلدان الغرب، من إضفاء الشرعية على علاقات الشواذ والمعاشرة الجنسية بين رجلين أو امرأتين.

وألحت الوثائق الصادرة عن الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية التي عقدت لمناقشة الأمور المتعلقة بالأسرة وحقوق الإنسان، على مسألة إزالة كل أشكال التمييز بين هذه العلاقات التي تقوم على ما يخالف الطبيعة الإنسانية السَّويَّة وبين الأسرة التقليدية القائمة على علاقات الزواج الطبيعي كما عرفها البشر منذ أن خلقه الله تعالى.

وشهدت مدينة (هوايرو) مؤتمراً آخر للهيئات التطوعية غير الحكومية، وتعرض المجتمعون بشكل رئيسي للقضايا المتعلقة بمؤسسة الأسرة كإحدى أشكال التنظيم الاجتماعي، من خلال مناقشة قضايا الجنس والإجهاض والميراث والزنا والشذوذ الجنسي وما يسمى بحقوق المثليين في ممارسة حرياتهم الجنسية، وخرج هؤلاء بما سمي (إعلان الحقوق الصحية والجنسية) ليؤكدوا وجهة نظرهم بإقرار الشذوذ، وحق المرأة والرجل في اختيار أسلوب الإنجاب الملائم، واعتبار أن رعاية الآباء لأبنائهم والاهتمام بهم مظهر من مظاهر التخلف، وعائق في طريق تقدم المرأة وحصولها على حقوق متساوية مع الرجل، واعتبرت وثائق المؤتمر عمل المرأة داخل المنزل بما في ذلك رعاية شؤون الأسرة، استغلالاً لها ونوعا من البطالة، مما يعيق عملية التنمية في المجتمعات النامية!

كما شاع في الوثائق الصادرة عن هذا المؤتمر استخدام لفظ (الجندر-gender) وعمد أصحاب الاتجاهات النسوية وأدعياء حقوق الإنسان الناطقين باللغة العربية إلى استخدام الكلمة مكتوبة بالحروف العربية (الجندر) لتجنب حتى استخدام لفظة (النوع) كترجمة عربية لها، وحيث اعتبر هؤلاء أن هذا الاصطلاح يتضمن معاني أوسع بكثير -على حد زعمهم- من مجرد الانقسام البسيط إلى ذكر وأنثى والمستويات الثقافية والرمزية المرتبطة بها.

وفي مؤتمر خاص نظمته هيئة ملتقى (المرأة والذاكرة) بالعاصمة المصرية القاهرة يومي 17 و 18 أكتوبر عام 1998 تم اتخاذ كلمتي (هوية الجنس) كمقابل باللغة العربية (للجندر) للتعبير عن الآثار المعنوية والنفسية والاجتماعية التي تترتب على هوية الذكورة والأنوثة، وما يتضمن أن الإنسان يمكن أن يكون ذكراً أو أنثى أو مخنثاً أو لوطياً أو سحاقياً أو كيفما اتفق، وأصبح الأخذ بهذه المبادئ أساسياً لتطبيق الديمقراطية وترويج المفاهيم المرتبطة بها، ومطالبة الحكومات بسن القوانين والتشريعات أو تعديلها، للسماح بدمج هذه الأفكار في سياق المرجعيات القانونية والتشريعية لهذه الحكومات.

بل إن العاصمة اللبنانية بيروت شهدت عقد اجتماع عربي في مقر اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الأسكوا) في الفترة من 12-15ديسمبر عام 1998 بمشاركة جامعة الدول العربية وصندوق الأمم المتحدة للمرأة، لمتابعة تنفيذ توصيات مؤتمر بكين الذي سبقت الإشارة إليه.

والسؤال الذي يطرح نفسه:

هل نتغافل عما حوته وثيقة مؤتمر القاهرة من وسائل مدمرة للكيان الأسري عموماً، ونأخذ منها الذي يتماشى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، أو الذي يظهر أنه كذلك؟

أين موقع الدين في مقررات المؤتمر؟ لم يرد له ذكر أبداً، بل تجاهلته بالكلية، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه الركن الركين للوجود الإنساني، قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (..الذاريات: 56)، فأيٌّ فكرة تطرح على المجتمعات، تقبل أو ترفض على أساس المنظور الشرعي، بعرضها على ثوابت الدين والقواعد التي تحكم المتغيرات. فهل يريد المؤتمر إلغاء دور الدين؟

إذا كان الغرب يتعامل بطريقة مادية بحتة مع الحياة عموماً، فإن المسلم تحكمه الشريعة الإسلامية في كل مناحي حياته، والدين أول المقاصد الشرعية الواجب حفظها، والذبّ عنها، وما عداه من المقاصد راجع حفظها لأصل حفظه.

فهل يريد المجتمع الغربي أن يرغمنا على اتباعه في سلوك حياته بطريقِ القوة "هيئة الأمم المتحدة"، بإلغاء دور الدين، وتجاهله تماماً في القرارات الحساسة والتي ترتكز إباحتها على رأي الدين. والمؤتمر بطروحاته كما يرى العلماء "يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة، ترمي إلى ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم ض، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة.. خصوصاً التي تدور حول الأسرة وبنائها، وتربية النشء، والعلاقات الجنسية والإجهاض"، ومن الواضح أن ذلك قد حدث لأن البرنامج يعتمد في مرجعيته على خلفية تستبعد فكرة الأديان، وتقوم على فصل الدين عن حياة وشؤون الإنسان.

وقفة مع آية وقاية الأسرة من النار

قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}التحريم.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا" فيه مسألة واحدة وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار. قال الضحاك: معناه قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم نارا. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم. وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم. قال ابن العربي: وهو الصحيح، والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل؛ كقوله:علفتها تبنا وماء باردا، وكقوله :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية، ففي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم).

وعن هذا عبر الحسن في هذه الآية بقوله: يأمرهم وينهاهم. وقال بعض العلماء لما قال: "قوا أنفسكم" دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، كما دخل في قوله تعالى: "ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم" (النور61) فلم يفردوا بالذكر إفراد سائر القرابات، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله "قُوا أنْفُسَكُم" يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: وأهْلِيكُمْ نارا يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

... عن علي رضي الله عنه قال: أدّبوهم، علّموهم.

... وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينْجيكم الله من النار.

... وعن قتادة رحمه الله قال: يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: "وقودها الناس والحجارة": تقدم في سورة البقرة "عليها ملائكة غلاظ شداد" يعني الملائكة الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب. "شداد" أي شداد الأبدان. وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال. وقيل غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم. يقال: فلان شديد على فلان؛ أي قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب. وقيل: أراد بالغلاظ ضخامة أجسامهم، وبالشدة القوة. وذكر ابن وهب قال: وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم:"ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب".

قال الطبري رحمه الله: وقوله: وَقُودَها النّاسُ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت.

وقوله: عَلَيْها مَلائِكَةُ غِلاظٌ شِدَادٌ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم.

قال القرطبي رحمه الله

قوله تعالى: "لا يعصون الله ما أمرهم" أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان. "ويفعلون ما يؤمرون" أي في وقته، فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

قال الطبري رحمه الله: لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أمَرَهُمْ يقول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به وَيَفْعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

■ نحو أسرة متماسكة وفعالة ■

بقلم حمّاد القبّاج

معالم الأسرة في القرآن والسنة

لعل من باب توضيح الواضحات التعرض بالنقد لأولئك الذين أقنعوا أنفسهم بأن المجتمع لا يحتاج إلى مؤسسة اسمها الأسرة، وأن العلاقة بين الجنسين ينبغي أن تكون مطلقة من كل قيد، ولو كان المُقَيِّد هو الشرع الحنيف الذي جاء لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

فالإنسان عند هؤلاء أشبه ما يكون بالبهيمة؛ يشبع غريزته مع مَن وجد، وما قد ينتج عن ذلك من ولد، فالمجتمع أسرته، يقيم له المحاضن، وتتابع تربيته الجمعياتُ والمنظمات الإنسانية!

فأمثال هؤلاء لا كلام لنا معهم، لأنهم رضوا لأنفسهم بالدون، وداسوا غيرتهم في تراب، فحال ذلك بينهم وبين ما ينبغي أن يكون عليه العاقل من تقديم القيم على الشهوات، والتحرر من قيود النفس الأمارة بالسوء، والحرص على بناء صرح المجتمع على أساس من الوعي بالمسؤولية، والقيام بالواجب، دون الخضوع للشهوات البهيمية..

وبعيدا عن هذه السوءة الفكرية، أقول:

تختلف أنظار الناس في هذه المسألة الجليلة (سبل تكوين أسرة متماسكة وفعالة) حسب اختلاف مرجعياتهم، واختلاف مستوياتهم الفكرية والمعرفية.

والمسلم بصفته أسلم وجهه لله وانقاد لشرعه، بعد أن أدرك بالدليل والبرهان أن هذا الإسلام وذلكم الانقياد هو مناط التوفيق والفلاح.

المسلم بصفته كذلك، ينطلق في هذا الموضوع الحساس -كغيره- من المعين الصافي، والرقراق الوافي: {القرآن العظيم والسنة المشرفة}، وهو موقن بالحقيقة التي بينها الوحي الإلهي للبشرية جمعاء، ولخصها سفيره المبارك صلى الله عليه وسلم في قوله: "لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعده أبدا: كتاب الله وسنتي" رواه الحاكم وصححه.

ولا شك أن تأسيس الأسرة وسياستها من أهم الشؤون التي ينبغي أن نتمسك فيها بهذين الأصلين الشريفين إذا أردنا ركوب سفينة الاهتداء، وتنكب طريق الضلال والشقاء، وهو ما أحببت تسليط الضوء عليه في هذا المقال.

خطوط عريضة، ومعالم في طريق إيجاد الأسرة المطلوبة:

أولا: النية في الزواج

المفروض في المسلم أن تكون همته عالية، ونظرته للأشياء عميقة؛ لذلك فهو في نيته في الزواج لا يقف عند حدود ضيقة، يبقى فيها أسير أهوائه وشهواته، بل تتعالى نظرته لتَسْكُب في قلبه نية صالحة، تمثل أرضية طيبة تنبت كل نافع.

وتتلخص هذه النية فيما يلي:

1- قصد العفة، والسلامة من الفاحشة.
2- قصد الإحسان إلى الطرف الآخر، ومعاشرته بالمعروف.
3- التماس الذرية الصالحة.

كل ذلك امتثالا للأمر الشرعي، ابتغاء مرضاة الله.

وتؤسس لهذه المقاصد نصوص منها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"رواه الترمذي.

وقال عليه الصلاة والسلام: "..ونساؤكم من أهل الجنة: الودود الولود العؤود على زوجها؛ التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى" السلسلة الصحيحة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: "تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"رواه أبو داود والنسائي.

"وتكثير النسل غير مقصود لذاته، ولكن المقصود -مع تكثيره- صلاحه واستقامته وتربيته وتنشئته ليكون صالحا مصلحا في أمته، وقرَّة عين لوالديه"، وأداة فعالة في ترقية المجتمع وتنميته.

وأهمية هذا المعلم في إيجاد الأسرة الصالحة المصلحة، المحافظة على تماسكها، تكمن في وجوه؛ أبرزها:أن وضع هذه الأهداف السامية تجعل الإنسان لا يهتم كثيرا لما فاته في زواجه من مطالب شخصية، ورغبات ذاتية، وما حصل له من نقص في الاستفادة من بعض الحقوق؛ ولذا فهو لا يبادر -كما يفعل البعض- لتشتيت شمل الأسرة لمجرد فقده لبعض تلك المزايا والحقوق، ولكن يأخذ من ذلك العفو، ويضحي بالباقي من أجل الوصول إلى تلك الأهداف النبيلة.

> **وأودُّ أن أبيِّن هنا بأن الدين الذي جعل معيارا في هذه النصوص، ليس بالتمني ولا بالتحلي، وليس هو مجرد لحية ترخى، أو خمار يضرب به، كما أنه ليس مجرد وعود تصدر في وقت الخطوبة، بقدر ما أنه التزام شامل بأحكام وآداب هذا الدين يقوم على الصدق، ويغذيه اليقين، ويظهر جليا بيِّنا في السلوك.**

ثانيا: معيار الاختيار في الزواج

وقد بَيَّنَتْه نصوص من القرآن والسنة، ويتلخص ذلك في حديثين:

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"متفق عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه"رواه الترمذي. مفهوم الشرط هنا أنه إذا تقدم لخطبة المرأة من لا يُرضى دينه أو خلقه فلا يزوج.

ولا شك أن عمل الرجال والنساء بهذا التوجيه يساهم إلى حد كبير في حماية الرابطة الزوجية، وبالتالي الترابط الأسري، من معاول الهدم، وعوامل التفكيك.

كما يُعد فقدان هذا الأمر، وعدم مراعاته من أكبر الأسباب الكامنة وراء التخبطات التي تتخبط فيها الأسرة في مجتمعاتنا الإسلامية.

وأودُّ أن أبيِّن هنا بأن الدين الذي جعل معيارا في هذه النصوص، ليس بالتمني ولا بالتحلي، وليس هو مجرد لحية ترخى، أو خمار يضرب به، كما أنه ليس مجرد وعود تصدر في وقت الخطوبة، بقدر ما أنه التزام شامل بأحكام وآداب هذا الدين يقوم على الصدق، ويغذيه اليقين، ويظهر جليا بيِّنا في السلوك.

ويزيد هذا المعلم وضوحا، تاليه وهو:

ثالثا: أداء الحقوق من الزوجين والالتزام بآداب العشرة الشرعية

وقد عظمت الشريعة حق الزوجة على زوجها، وحقه عليها:

ونقتصر أيضا هنا -والمقام لا يتحمل البسط-على توجيهين نبويين كريمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم"رواه الترمذي وصححه.

وعن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تؤدي المرأة حق الله عز وجل عليها كله حتى تؤدي حق زوجها عليها كله"رواه أحمد.

"إن الأثر التربوي لهذين التوجيهين-وغيرهما كثير- أن يتسابق كل من الزوجين إلى قلب الآخر، وقد اتخذ كل منهما إليه السبيل الذي دلّ عليه وأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا تألو الزوجة جهداً في أن تتحبّب إلى زوجها بكل ما تملك من أفانين الخدمة والرعاية ووسائل الإبهاج والإسعاد.. ولا يألو الزوج جهداً في أن يتحبّب هو الآخر إلى زوجته بكل ما يملك من سبل الإيناس والإسعاد ومدّ يد العون في مختلف مهام المنزل وشؤونه، ومعاملتها بأقصى ما يستطيع من لطف. وإنما يندفع كل منهما إلى هذا السبيل تنفيذا لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتصوّر زوجين يتسابقان؛ كلٌّ منهما إلى قلب الآخر، على هذا النهج، كيف تكون علاقة ما بينهما، وأين يكون مكان الحبّ من حياتهما؟

إن هذين الزوجين قد يبدأ الحب في حياتهما صغيرا، ولكنه ما يلبث أن يَكْبُر ثم يكبُر، ولسوف يستمرّ في النموّ والازدهار، تماماً كالشجرة التي تلقى الرعاية والسقيا على الدوام..

على العكس من الحياة الزوجية التي تبدأ شاردة عن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعيدة عن الالتزام بتعاليم الإسلام ونهجه، فإن الحب قد يبدأ بين الزوجين كبيراً، وذلك في غمار تلاقيهما وتعايشهما المبدئي من وراء سور الزواج، ولكنه ما يلبث أن يصغر ثم يصغر، حتى تخمد حرارته وتعود علاقة ما بينهما إلى حياة تقليدية رتيبة، هذا إن خلت من الخصام والمنغصات.

رابعا: العناية الشرعية بالبيت

والبيت هو الظرف المكاني الذي تزاول فيه الأسرة عملها، وتباشر في ربوعه أداء رسالتها العظيمة، فلا غَرْوَ أن أحاطته نصوص القرآن والسنة بأحكام وآداب يمكن إجمالها فيما يلي:

- إعماره بذكر الله: ويدخل في ذلك: صلاة النافلة للرجال، والصلاة مطلقا للنساء، وتلاوة القرآن، وإقامة مجالس التفقه في الدين والتواصي بالحق.
- الحرص على خلوه من المخالفات الشرعية.
- الحرص على الجوار الصالح.
- الحرص على حجاب النساء وستر العورات.

وهذه أمور تحيط الأسرة بسياج من الأمن، وتحليها بحلية الوقار والمهابة، وتجعل أفرادها يتفيَّؤون ظلال السكينة والطمأنينة، وهذه أساسيات لاستقرارهم، ونجاحهم في أدائهم.

خامسا: وجود الأم في البيت

وانظر إبراز أهمية هذا المعلم في مقال: "ربة البيت ودورها في الإصلاح والتنمية" في (رياض النساء) من هذا العدد.

سادسا: تربية الولد تربية شرعية

قال الله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم"النساء.

وقال سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا}التحريم.

ومن البين الجلي أن هذا المعلم كغيره من هذه المعالم يحتاج لإبرازه في ضوء القرآن العزيز والسنة المشرفة إلى مجلدات.

وأكتفي هنا بالتنبيه على أمر مُهم، الحاجة إلى بيانه قائمة وملحة:

وهو ضرورة ربط جسور التواصل بين الوالدين وأولادهم، وأن يتولى الوالدان التوجيه المباشر للطفل وكسر حاجز الأسرار بينهما وبينه.

والطفل إذا أُغلِق الباب بينه وبين الوالدين

> **فعلينا أن نقيم قنوات حوار وتوجيه قوية ومؤثرة بيننا وبين أولادنا، عبر مجالس منتظمة واجتماعات متتابعة، نتشارك معهم فيها مشاكلهم واستفساراتهم وأسرارهم، ونوجههم من خلال ذلك الوجهة الصحيحة، والتي نصدر فيها نحن بدورنا من توجيهات ديننا العظيم.**

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

تتمة الصفحة 14

الحريصين على توجيهه إلى الخير وحمله عليه، طرق أبوابا أخرى غالبا ما يكون في ولوجها أضرار وأخطار، تودي به إلى الهاوية،..وهنا يصير الموجه هو التلفاز والشبكة العنكبوتية (الأنترنت) والأصحاب..، وهذه كلها مصادر مشبوهة، بل محققة الخطر.

فعلينا أن نقيم قنواتِ حوار وتوجيهٍ قوية ومؤثرة بيننا وبين أولادنا، عبر مجالس منتظمةً واجتماعاتٍ متتابعة، نتشارك معهم فيها مشاكلهم واستفساراتهم وأسرارهم، ونوجههم من خلال ذلك الوجهة الصحيحة، والتي نصدر فيها نحن بدورنا من توجيهات ديننا العظيم.

سابعا: بر الوالدين

وهو أدب معروف في ديننا، وكثير من النصوص المؤسسة له معروفة عند الصغير والكبير، فلا تكاد تتلو على مسلم -مثلا- قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"، حتى يتمم قائلا: "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً"الإسراء23.

وقصدي هنا بيان مَلحَظ مهم: وهو أن نجاحَ الأسرة، وأداءها لرسالتها العظيمة، مرتبط إلى حد كبير بقيام الأولاد بدورهم في ذلك، وهذا من أعظم برهم بآبائهم؛ فيُعينونهم وهم أحياء، ويواصلون عملهم بعد وفاتهم، ومن ذلك أن يؤسسوا هم بدورهم أسرا تنحو المنحى نفسه، وتعمق جذوره في المجتمع.

ثامنا: توقير الكبير ورحمة الصغير

وهما أدبان مهمان بين أفراد المنظومة الأسرية، تجعل قافلتها تمضي في جو من الوئام والمحبة، والاستفادة المتبادلة.

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا"رواه الترمذي وصححه.

وهذا النفي النبوي يدل على أن رحمة الصغير والعناية به، واحترام الكبير وخدمته، أدب واجب ومحتم.

والأسرة المسلمة في أمس الحاجة إلى هذا التوجيه، سيما وأن أفرادها يكونون في كثير من الأحوال كثر، وغير منحصرين في الوالدين والأولاد؛ فيأتي هذا التوجيه ليقوي آصرة التلاحم، ويزيد في وتيرة التعاون بين أفرادها.

تاسعا: قيام المجتمع بدوره

ليس الزوجان وأولادهما ومن يعيش معهم من الأفراد، المسؤولون الوحيدون عن نجاح الأسرة.

بل لباقي مكونات المنظومة الاجتماعية أدوار متفاوتة الأهمية في ذلك:

فولي الأمر ومن يعينه من الوزراء المعنيون بهذه الشؤون وغيرهم يجتهدون في بناء الجانب القانوني لشؤون الأسرة على أحكام الشرع الحنيف، والتي يُنطلق فيها من القرآن والسنة.

كما يسهرون على التطبيق الجاد والمسؤول لتلكم الأحكام.

والجيران يلتزمون في سلوكهم بتوجيهات الوحي المباركة.

والأسر بصفتها مكونات المجتمع تتعاون على أداء رسالتها الإصلاحية التنموية، وتتواصل فيما بينها، وتتواصى لتحقيق ذلك...وهكذا.

والأسرة بهذا الاعتبار داخلة في مسؤولية الجميع، ونبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يقول: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"رواه مسلم.

عاشرا: العلم والأخلاق

اعلم رحمك الله، أن الفرد لا يصلح إلا بالعلم، ولا يُستفاد من العلم إلا إذا ورَّث عملا جادا وسلوكا قويما.

ولئن كان العلم هو الموجه، فإن الخلق والسلوك هو التصديق العملي لما وجه إليه ذلك العلم، فإذا فقد الفرد هذين الأساسين خسر كثيرا، وخسرت بخسارته الأسرة.

وقد تقرر في ديننا أن العلم مقدَّمٌ على القول والعمل، وأن العلم النافع هو الذي يترجم إلى عمل.

ولا بد لنجاح الأسرة من تحقق هذين الأمرين الجليلين -ولو بنسبة معينة- في أفرادها ،سيما أهل التوجيه والتسيير منهم..

أما بعد، فهذه عشرة كاملة، ذلك لمن أراد الوقوف على أهم المعالم التي وضعها الكتاب العزيز وبينتها السنة الغالية في طريق بناء أسرة متماسكة، تسهم بشكل بارز ومؤثر في إيجاد واستمرار مجتمع صالح راقي.

وقفــة مـع آيــة وقايــة الأسـرة من النـار

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ التحريم.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: **"يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"** فيه مسألة واحدة وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار. قال الضحاك: معناه قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم نارا. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم. وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم. قال ابن العربي: وهو الصحيح، والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل؛ كقوله: علفتها تبنا وماء باردا، وكقوله :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية، ففي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم).

وعن هذا عبر الحسن في هذه الآية بقوله: يأمرهم وينهاهم. وقال بعض العلماء لما قال: **"قوا أنفسكم"** دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، كما دخل في قوله تعالى: **"ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم"** [النور61] فلم يفردوا بالذكر إفراد سائر القرابات، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله **"قُوا أنْفُسَكُم"** يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: وأهْلِيكُمْ نارا يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

... عن علي رضي الله عنه قال: أدّبوهم، علّموهم.

... وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينْجيكم الله من النار.

... وعن قتادة رحمه الله قال: يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: "وقودها الناس والحجارة": تقدم في سورة البقرة "عليها ملائكة غلاظ شداد" يعني الملائكة الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب. "شداد" أي شداد الأبدان. وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال. وقيل غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم. يقال: فلان شديد على فلان؛ أي قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب. وقيل: أراد بالغلاظ ضخامة أجسامهم، وبالشدة القوة. وذكر ابن وهب قال: وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم: (ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرقِ والمغرب).

قال الطبري رحمه الله: وقوله: وَقُودَها النّاسُ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النارِ بنو آدمٍ وحجارة الكبريت.

وقوله: عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: "لا يعصون الله ما أمرهم" أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان. "ويفعلون ما يؤمرون" أي في وقته، فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

قال الطبري رحمه الله: لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أمَرَهُمْ يقول: لاِ يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به وَيَفْعَلُون ما يُؤْمَرُون يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

من أقوال علماء الغرب في بيان أهمية عمل ربة البيت

قال"أجوست كونت" مؤسس الفلسفة الحسية في كتابه (النظام السياسي على حساب الفلسفة الحسية): "القانون الطبيعي الذي يخصص النساء للحياة المنزلية قانون صحيح ومحقق".

وقالت الخبيرة الأمريكية الدكتورة "إيدا أولين": "إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسرُّ كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق... كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمنية العمل، أما اليوم وقد أدْمَت عثرات الطريق قدميها واستنزفت الجهود قواها فإنها تودُّ الرجوع إلى عشها والتفرغ لاحتضان فراخها".

ونقلت بعض الصحف تحت عنوان: (الأمريكيات يفضلن العائلة على الحياة المهنية) عن بعض الأمريكيات اللواتي كن يشغلن مناصب عالية في مجتمعهن أنهن تركن العمل من أجل أن تتمكن الواحدة منهن أن تقوم بوظيفتها كأم وزوجة، ومنهن "كارين ميغ" التي كانت تعمل مستشارة للرئيس الأمريكي "جورج بوش"، و"جين سوفت" التي كانت تشغل منصب حاكم "ماساشوتست"...

بل رجع إلى هذه الحقيقة الشيوعي "ميخائيل غورباتشوف" حيث قال في كتابه "البروسترويكا": "... ولكن طوال سنوات تاريخنا البطولي والشاق عجزنا أن نولي اهتماما لحقوق المرأة الخاصة واحتياجاتنا الناشئة عن دورها كأم وربَّة منزل ووظيفتها التعليمية التي لا غنى عنها بالنسبة للأطفال.

إن المرأة إذ تعمل في مجال البحث العلمي، وفي مواقع البناء وفي الإنتاج والخدمات، وتشارك في النشاط الإبداعي لم يعُد لها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل (العمل المنزلي وتربية الأطفال وإقامة جو أسري طيب).

لقد اكتشفنا أن كثيرا من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتها وثقافتنا وفي الإنتاج، تعود جزئيا إلى تدهور العلاقات الأسرية والموقف المتراخي من المسؤوليات الأسرية، وهذه نتيجة مناقضة لرغبتنا المخلصة والمبررة سياسيا لمساواة المرأة بالرجل في كل شيء.

والآن في مجرى "البروسترويكا" بدأنا نتغلب على هذا الوضع، ولهذا السبب فإننا نجري الآن مناقشات جادة في الصحافة وفي المنظمات العامة وفي العمل والمنزل بخصوص مسألة ما يجب أن نفعله لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة".

فانظر أخي القارئ كيف وصل هؤلاء القوم بالتجربة الطويلة والتضحيات الكثيرة إلى ما نعرفه نحن عن طريق ديننا العظيم، وهذا برهان آخر على أننا مستغنون بديننا عن غيره من المبادئ والمناهج، فهل يأتي على المستغربين وقت يعترفون فيه بهذه الحقيقة؟

دور الأسرة في رعاية الأولاد

وحولي أفراخ عش صغارٌ
وأغراس روض الغد الأجمل
فهذا رضيع طريّ الجناح
وذاك يدب على الأرجل
يطير لخفته كالفراش
بترحيبه الباهر الأمثل
ينادي (أبي) وهو يعدو إليّ
سعيدًا .. يغرّد كالبلبل

إنّ التأكيد على أهمية دور الأسرة في رعاية الأولاد، لمن أجلّ الأمور، التي يجب أن تتضافر جهود الآباء والأمهات وأهل العلم، والدعاة والتربويين والإعلاميين.. للمحافظة عليها، فهي أمانة أمام الله تعالى نحن مسؤولون عنها.

لقد فطر الله تعالى الناس على حب أولادهم فقال تعالى: **(المالُ والبَنُون زينَةُ الحَيَاةِ الدنيا)** التحريم 6، ويبذل الأبوان الغالي والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، ومسؤولية الوالدين في ذلك كبيرة، إذ الأبناء أمانة في أعناقهم.

فالأسرة لها دور كبير في رعاية الأولاد وفي تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وما أجمل مقولة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- **"الصلاح من الله والأدب من الآباء"**. ومن يُحلِّل شخصية صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فإنه سيجد أن سرَّ نجاحه وتميزه سببه التربية التي تلقاها في البيت، إن **"الرجال لا يولدون بل يُصنعون"**، لذا يقول بعض أساتذة علم النفس: **"أعطونا السنوات السبع الأولى للأبناء نعطيكم التشكيل الذي سيكون عليه الأبناء"**.

قال الشاعر:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ مِنا
على ما كان عوَّدَهُ أبُوهُ

وإهمال تربية الأبناء جريمة يترتب عليها أوْخَم العواقب على حد قول الشاعر:

عادت على الآباء بالنكبات
إهمالُ تربية البنين جريمةٌ

ونذكر هنا بقصة في جانب الإهمال، أن رجلا سرق من رجل مالاً كثيرًا، وقدِّم للحد فطلب أمه، ولما جاءت دعاها ليقبلها، ثم عضها عضة شديدة، وقيل له ما حملك على ما صنعت؟ قال: سرقت بيضة وأنا صغير، فشجعتني وأقرتني على الجريمة حتى أفضت بي إلى ما أنا عليه الآن.

إن انحرافات الأسرة من أخطر الأمور التي تولِّد انحرافَ الأبناء، فالتوجيه يبدأ في نطاق الأسرة أولاً، ثم المسجد والمدرسة والمجتمع، فالأسرة هي التي تُكسِبُ الطفلَ قِيَمَهُ فيَعرِفُ الحقَ والباطلَ، والخيرَ والشرَ، وهو يَتلقَّى هذه القيم دون مناقشة في سِنِيِّه الأولى، حيث تتحدَّدُ عناصرُ شخصيتِه، وتتميزُ ملامحُ هويتِه على سلوكه وأخلاقه، لذلك فإن مسؤولية عائل الأسرة في تعليم أهلِه وأولاده القيم الرفيعة، والأخلاق الحسنة، وليس التركيز فقط على السعي من أجل الرزق والطعام والشراب واللباس..، قال صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم" متفق عليه، وكان يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعَلِّمُوهم" البخاري631، قال ابن القيم -رحمه الله-: **"فمن أهملَ تعليمَ ولدِه ما ينفعه، وتَرَكَهَ سُدى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ الأولادِ إنما جاء فسادُهُم من قِبَلِ الآباءِ وإهمالِهِم لهم، وتركِ تعليمِهم فرائضَ الدين وسُنَنَه، فأضاعوها صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسِهِم ولم ينفعوا آباءَهُم كِبَارا"** (تحفة المودود).

وهنا نتذكر حكمة عمر رضي الله عنه عندما جاءه رجل يشكو عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي؟ قال: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن، قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك، أما أمِّي فإنها زنجية كانت لمجوسيٍّ، وقد سماني جُعْلاً -أي خنفساء- ولم يعلمني من القرآن حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

فينبغي تعويد الأولاد منذ صغرهم على بعض الأمور الأساسية لتوجيههم، من ذلك:

أ- التمسك بالمعتقد الصحيح: وذلك بتعريف الأبناء بأهمية التوحيد، وعرضه عليهم بأسلوب مبسط يناسب عقولهم.

ب- بعث روح المراقبة لله والخوف منه: بيان توحيد الأسماء والصفات، كالسميع والبصير والرحمن، وأثرها في سلوكهم.

ج- الحث على إقامة الصلاة: لقوله صلى الله عليه وسلم: "مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع" رواه أحمد وأبو داود. قال الشوكاني في نيل الأوطار: والحديث يدل على وجوب أمر الصبيان بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين وضربهم عليها إذا بلغوا عشرًا والتفريق بينهم في المضاجع لعشر سنين.

د- التحلي بمكارم الأخلاق والآداب العامة.

ويبقى على الأسرة الأخذ بمجموعة من النصائح والتوجيهات بغية حفظ هذا الحصن الحصين -الذي أعجز البغاة والحاقدين على مرّ العصور- من عبث العابثين وحقد الحاقدين، نذكر منها:

1- محاولة تخصيص وقت كاف للجلوس مع الأبناء، وتبادل أطراف الحديث المتنوعة معهم كالأخبار الاجتماعية والدراسية والثقافية وغيره ذلك.

2- التركيز على التربية الأخلاقية والمُثُل الطيبة، وأن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهما.

3- احترام الأبناء عن طريق الاحترام المتبادل، وتنمية الوعي لديهم وتعويدهم على الصدق في القول والعمل.

4- فهم نفسية الأولاد، وإعطاؤهم الثقة في أنفسهم، والتعامل معهم على أنهم أطفال.

5- إشراك الأولاد في القيام بأدوار اجتماعية وأعمال نافعة.

6- قبول التنوع في اختيارات الأبناء الشخصية، كاختيار اللباس وبعض الهوايات..، طالما ليس فيها محاذير ومخالفات شرعية.

7- التشجيع الدائم للأولاد بالاستحسان والمدح، وتقديم بعض الهدايا والمكافآت التشجيعية لهم كلما قدَّموا أعمالاً مطلوبة.



8- عدم السخرية والتهديد بالعقاب الدائم للأبناء متى ما أخفقوا في دراستهم أو وقعوا في أخطاء من غير قصد منهم، بل تتم معالجة المشكلة بهدوء، ومحاولة التغلب على الخطأ بالحكمة، عن طريق الترغيب والترهيب.

9- عدم إظهار المخالفات والنزاعات التي تحدث بين الوالدين أمام مسمع ومرأى أبنائهم.

10- الصبر الجميل في تربية الأبناء، وتحمل ما يحدث منهم من عناد أو عصيان، والدعاء دوما بصلاحهم وتوفيقهم، وتجنب الدعاء عليهم.

ومن هنا نود التأكيد مرة أخرى، على أن دور الأسرة في رعاية الأولاد، هو أقوى دعائم المجتمع تأثيرًا في تكوين شخصية الأبناء، وتوجيه سلوكهم، وإعدادهم للمستقبل.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

سعيد البحراوي

فضل شهر ذي الحجة

إخوانكم في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام وملئوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام، لقد ساروا وقعدنا وقربوا وبعدنا فإن كان لنا معهم نصيب سعدنا.

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في الأيام العظيمة فما منها عوض ولا لها قيمة.

المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل قبل أن يندم المفرط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحا فلا يجاب إلي ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمن وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهنا في حفرته بما قدم من عمل.

ذو الحجة أحد الأشهر الحرم وأعظمها حرمة.

قال تعالى :"إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ".

- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشرة شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان".رواه البخاري ومسلم.

- عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع في خطبته يوم النحر:"ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا،ألا أحرم الشهور شهر كم هذا ،ألا وإن أحرم البلاد بلدكم هذا".رواه أحمد بإسناد صحيح.

قال سعيد بن جبير :سما من الشهور أعظم حرمة من ذي الحجة".

وأحد أشهر الحج وخاتمة الأشهر المعلومات.

قال تعالى: "الحج أشهر معلومات".

- قال ابن عمر رضي الله عنه : "أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة".علقه البخاري ووصله البيهقي بإسناد صحيح.

قال الحافظ في الفتح(205/4) : أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج ثلاثة.

وأيام عشر ذي الحجة هي التي أقسم الله بها.

قال الله تعالى:"والفجر وليال عشر".

قال ابن رجب : أما "الليالي العشر": فهي عشر ذي الحجة ،هذا الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم .لطائف المعارف(374).

وهي موسم عظيم من مواسم الخير والبركات والعمل الصالح.

عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "ما من عمل أزكى عند الله عز وجل ولا أعظم أجرا من خير عمله في الأضحى قيل : ولا الجهاد في سبيل الله قال : "ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".

قال :"وكان سعيد بن جبير إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يقدر عليه". رواه الدارمي بإسناد حسن أنظر الإرواء(398/3).

وفي العشر أعظم الأيام عند الله تعالى : يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر.

- عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى اله عليه وسلم قال : "إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ،ثم يوم القر".صحيح أبي داود494/1.

- يوم القر :اليوم الذي يلي يوم النحر لأن الناس يقرون فيه بمنى أي: يستريحون.

- قال ابن القيم في تهذيب السنن (185/5- عون المعبود): "وفيه دليل على أن يوم النحر أفضل الأيام ،وذهبت جماعة من العلماء إلى أن يوم الجمعة أفضل الأيام ،واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة". وهو حديث صحيح رواه ابن حبان وغيره.وفصل النزاع أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم النحر أفضل أيام السنة، فيوم النحر مفضل على الأيام كلها، التي فيها الجمعة وغيرها، ويوم الجمعة مفضل على أيام الأسبوع. فإن اجتمعا في يوم تظاهرت الفضيلتان، وإن تباينا، فيوم النحر أفضل وأعظم لهذا الحديث".اهـ

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فقال :"أي يوم هذا ؟ قالوا: يوم النحر، قال: "هذا يوم الحج الأكبر".صحيح أبي داود546/1 والبخاري تعليقا.

ومن الأعمال الصالحة فيها استحباب صوم التسع منها.

عن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، وأول اثنين من الشهر والخميس.رواه أبو داود بسند حسن.

ومن الأعمال الصالحة: الصدقات فهي من أعظم القربات ومكفرات الذنوب، وتقي مصارع السوء والآفات والهلكات. قال صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة: "ألا أدلك على أبواب الخير؟ "قلت: بلى يا رسول الله. قال: "الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ". الترغيب بسند صحيح.

ومن الأعمال الصالحة: التوبة والإنابة إلى الله واجتناب المعاصي والفسوق.

يا من يطمع في العتق من النار ثم يمنع نفسه الرحمة بالإصرار على كبائر الإثم والأوزار. الله نصحت نفسك، ولا وقف في طريقك غيرك، توبق نفسك بالمعاصي فإذا حرمت المغفرة. قلت: أنى هذا. "قل هو من عند أنفسكم ".

واحرص أيها المسلم على ذكر الله كثيرا في هذه الأيام المباركة.

قال تعالى: "ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ". الحج 28.

قال ابن عباس: الأيام المعلومات: أيام العشر. علقه البخاري بصيغة الجزم.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتكبير والتهليل ". حسن بشواهده الإرواء (398/3).

لا يفوتنكم يوم عرفة

"أيها الناس اتقوا الله تعالى وشمروا لطلب الخيرات قبل فواتها، واغتنموا الأعمال الصالحات في أوقاتها، فمنها الأيام المفضلات، المخصوصة بالتشريف في محكم الآيات، وهن الأيام المعلومات".

فيهن يوم لعظيم قدره أقسم الله به وهو يوم عرفة

قال تعالى: "وشاهد ومشهود". البروج 4.

والمقصود بهما ما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة". سنن الترمذي بسند حسن.

يوم يكفر السنة الماضية والقابلة

عن أبي قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله". رواه مسلم، الحديث ظاهر في بيان المقصود.

يوم إكمال الدين وإتمام النعمة

عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له: "يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا" قال: "أي آية"؟ قال:"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا".

قال عمر: "قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة". رواه البخاري ومسلم.

يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار

عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: "ما أراد هؤلاء" رواه مسلم.

فمن طمع في العتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة. منها استحباب صيام ذلك اليوم، والإكثار فيه من الدعاء بالمغفرة وشهادة التوحيد بإخلاص وصدق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" صحيح الجامع.

فيا أيها الناس اغتنموا فضله واحذروا الموانع والقواطع، فلا يفوتنكم اليوم فتتحسروا.

الاشتراك في الأضحية

لا تجزئ الشاة الواحدة إلا عن الرجل وأهل بيته، ويجوز أن يشترك سبعة أو عشرة أشخاص في البدنة -أي الجمل- وسبعة في البقرة سواء كانوا أهل بيت أو بيوت.

فعن أبي أيوب الأنصاري قال: كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس، فصارت كما ترى. صحيح الترمذي،

وعن جابر بن عبد الله قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته، نزل من منبره، وأتى بكبش فذبحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: "بسم الله والله اكبر، هذا عني، وعمن لم يضحي من أمتي". صحيح أنظر الإرواء.

وعن عكرمة قال: كان أبو هريرة يجيء بالشاة فيقول أهله: وعنا، فيقول: وعنكم. أخرجه البيهقي بإسناد صحيح.

وعن أبي سريحة قال: حملني أهلي على الجفاء، بعدما علمت من السنة، كان أهل البيت يضحون بالشاة والشاتين، والآن يبخلنا جيراننا. صحيح ابن ماجة (87/3).

هذه الأحاديث والآثار دليل على إجزاء الشاة الواحدة عن الرجل وأهل بيته وإن كانوا مائة نفس أو أكثر كما قضت بذلك السنة. أنظر السيل الجرار (78/4) وزاد المعاد (29/2).

وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على أنه لا يجوز أن يشترك في الكبش الواحد النفر - أي: من بيوت مختلفة- (أنظر الاستذكار).

تنبيه:

الظاهر أن أبا سريحة كان ذا سعة ولم يكن فقيرا، ومع هذا كان يضحي بالشاة الواحدة عن أهل بيته، فإنه لو كان فقيرا لم يحمله أهله على الجفاء ولم يبخله جيرانه. تحفة الأحوذي (93/5).

وعن جابر بن عبد الله قال: نحرنا مع

←

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

عيد مبارك سعيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة. *رواه مسلم.*

وعن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فحضر الأضحى، فاشتركنا في البقرة سبعة وفي البعير عشرة. صحيح الترمذي(159/2).

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى عن أزواجه بالبقر. رواه البخاري ومسلم.

وعند ابن ماجة من حديث أبي هريرة "بقرة بينهن". صحيح ابن ماجة (84/3).

قال أبو جعفر الطبري: أجمعت الأمة على أن البدنة والبقرة لا تجزئ عن أكثر من سبعة.

قلت: لكن حديث ابن عباس حجة على الإجماع المدعى، وخالف أيضا سعيد بن المسيب وإسحاق بن راهوية وابن خزيمة.

وبوب له النسائي في سننه (221/7-222): -ما تجزئ عنه البدنة في الضحايا-.

وذكر حديث رافع بن خديج قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل في قسم الغنائم عشرا من الشاء ببعير. وهو في الصحيحين ثم ذكر حديث ابن عباس-رضي الله عنه-. انظر صحيح ابن خزيمة (228/4) والمحلى (382/7) ونيل الأوطار (187/5) والاستذكار(19/15).

فإن قيل: ما هي شروط الاشتراك في الغنم؟

قلت: اعلم أن شروط الاشتراك في الأضحية في البيت الواحد ثلاثة:

1- القرابة، كالوالدين والعمّ والأبناء ونحو ذلك.
2- النفقة، كالاشتراك فيها ونحوه.
3- المسكن، أي الاجتماع في سكنى واحدة.

الأضحية والتضحية

يظلم بعض الناس هذا النسك إذا ما قصروه على ذبح الأضحية يوم العيد ليأكلوا منها ويطعموا أهليهم وأقاربهم، ويطعموا الفقير والمسكين فقط، ولو أن الأمر توقف عن هذا الحد لما كان يستحق الوقوف عنده والتدبر في معانيه.

لكنه أعمق من هذا بكثير، فالأضحية إنما شرعت لإحياء سنة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام، هذا النبي الذي عزم على ذبح ولده ثمرة فؤاده وسويداء قلبه بسبب رؤيا رآها في المنام يأمره الله فيها أن يذبح ولده، فلم يقل لماذا؟! وكيف؟! ومتى؟...! لكنه توجه في الحال إلى ولده إسماعيل قائلا: "يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ".

وما كان من الولد البار إلا الاستجَابة الفورية الحاسمة لأمر الله سبحانه "افعل ما تؤمر" فالأمر ليس أمرك فأنت الحنون الشفوق وأنت الرحيم الرقيق، والله أرحم منك وأشفق، وهو أكرم منك وأبر.

إنه موقف فريد لم يحدث من قبل وما سمعنا أنه حدث من بعد، ولا نظنه يحدث.

هذا حيث يكون الأمر مع عباد الله المخلصين فهذا الأب يقول: "إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟" فيرد الولد بلا وجل: افعل ما تؤمر أبتاه!!!

من أجل ذلك فإن على المسلم أن ينظر إلى هذا الحدث بعين ملؤها العبرة والعظة وبعقل ملؤه التدبر والتعقل وبقلب ملؤه الإيمان والتسليم.

إن الأضحية هنا شعار يحمل في طياته الكثير من المعاني، فهي تمثل لإبراهيم عليه السلام ذبح أغلى ما يملك وأفضل ما يحب من أجل الله تعالى، وذلك ليخرج من قلبه كل شهوة وكل حب سوى الله تعالى، فهل نفطن لهذا الدرس، ونذبح كل شهواتنا وكل ما نحب إذا تعارض أي من ذلك مع مراد الله تعالى؟

إنها وقفة مع النفس لمحاسبتها ومعاتبتها وتخليصها من كل ما علق بها، علينا بتهذيب الشهوات قبل ذبح الأضحية فالله سبحانه يقول في شأن الهدي: "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ" الحج 37.

والأضحية -كذلك- تتسع لكثير من أنواع وأشكال التضحية بالمال والوقت والجهاد والأهل والعشيرة بل والنفس في سبيل نشر الدعوة وإقامة الدين وحفظه.

وبهذا أقيم المجتمع المسلم الأول على أكتاف رجال ضحوًا بكل أنواع التضحية، إنفاقا للمال ومفارقة للأهل والولد وبذل للوقت والجهد وتضحية بالنفس، كل ذلك في سبيل الله، وتبعهم بإحسان رجال واصلوا المسيرة من التابعين وتابعيهم وإلى يومنا هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلن تخلو الأرض يوما من هذا الصنف المخلص ليكونوا عبادا لله على أرضه وتتحول بهم المبادئ والقيم والعقائد واقعاً على الأرض.

أهم ما يطلب من المضحي عند الذبح

1 ـ أن يسوق الأضحية إلى محل الذبح سوقاً جميلاً لا عنيفا

فقد روى عبد الرزاق بسنده عن محمد بن سيرينٍ قال: رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يسحب شاةً برجلِها ليذبحها فقال له: ويلك! قدها إلى الموت قوداً جميلا . ورواه البيهقي ، وذكره الشيخ الألباني.

أن يحد السكين قبل الذبح (لأن المطلوب إراحة الحيوان بأسرع وقت ممكن)، وهذا من الإحسان الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرِحْ ذبيحته) رواه مسلم .

2 ـ أن لا يحد السكين أمام الحيوان الذي يريد ذبحه

لأن ذلك من الإحسان المأمور به كما جاء في الحديث السابق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتريد أن تميتها موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟" رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني.

3 ـ يستحب إضجاع الغنم والبقر في الذبح

وأنها لا تذبح وهي قائمة ولا باركة بل مضجعة، لأنه أرفق بها، وتضجع على جانبها الأيسر لأنه أسهل في الذبح، وأخذ السكين باليمين وإمساك رأسها باليسار.

وأما الإبل فالسنة أن تنحر قائمةً على ثلاث قوائم معقولة الركبة اليسرى.

4 ـ استقبال القبلة من الذابح والذبيحة

يستحب أن يستقبل الذابح القبلة وأن يوجه مذبح الحيوان إلى القبلة.

قال الإمام النووي :[استقبال الذابح القبلة وتوجيه الذبيحة إليها، وهذا مستحب في كل ذبيحة، لكنه في الهدي والأضحية أشد استحباباً، لأن الاستقبال في العبادات مستحب وفي بعضها واجب]. ويدل على ذلك ما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح كبشين أقرنين أملحين موجوئين ، فلما وجههما قال : إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك، وعن محمد وأمته باسم الله والله أكبر ثم ذبح" صحيح سنن أبي داود، والشاهد في الحديث قوله (فلما وجههما) أي نحو القبلة .

5 ـ أن يتولى ذبحها بنفسه إن كان يحسن الذبح، وإلا شهد ذبحها

ومما يدل على استحباب تولي الإنسان أضحيته بنفسه، ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أقرنين أملحينٍ، وكان يسمي ويكبر، ولقد رأيته يذبحهما بيده واضعاً رجله على صفاحهما" رواه البخاري ومسلم وقد مضى.

ويجوز لمن أراد الأضحية أن يُنيب غيره في ذبحها، فإن أناب عنه فيستحب له أن يشهد ذبحها.

6 ـ التسمية والتكبير عند الذبح

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ذبح قال: "باسم الله والله أكبر"، كما جاء ذلك في رواية لحديث أنس رضي الله عنه عند مسلم: "قال: ويقول باسم الله والله أكبر".

وثبت في رواية أخرى من حديث أنس قال : "ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمَّى وكبر..." رواه البخاري ومسلم.

7 ـ الدعاء بعد التسمية والتكبير

أما الدعاء كأن يقول: اللهم تقبل مني، أو يقول اللهم تقبل من فلان، فهذا مشروع ومستحب، لما ثبت في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بكبش يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فأتي به ليضحي به فقال لها: يا عائشة هلمي المدية، ثم قال: اشحذيها بحجر. ففعلت ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال: "اسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد ثم ضحى به" رواه مسلم.

عيوب الأضحية

لا تجزئ الأضحية إلا إذا كانت سالمة من العيوب المنصوص عليها، وما كان في معناها أو أقبح منها، وما كان خفيفا فيعفى عنه.

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زأربع لا يجوز في الأضاحي، العَورَاء بين عورها، والمَرِيضَة بين مرضها، والعَرجَاء بين ظلعها، والكَسِيرة التي لا تنقيس.

قال قلت: فإني أكره أن يكون في السن نقص فقال: "ما كرهتَ فدعه ولا تحرِّمه على أحد". صحيح أبي داود (533/2).

المراد "بالكسيرة" أي المنكسرة الرجل التي لا تقدر على المشي.

وسلا تنقيس أي التي لا نقي لها، وهو المخ.

و"بين ظلعها" أي عَرجها.

وقد أجمع العلماءُ على هذه العيوب الأربعة.

ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (124/15) والنووي في المجموع (297/8) وابن قدامة في المغني (349/9) وابن رشد في البداية (315/1) وابن حزم في مراتب الإجماع (153/1).

وعن علي رضي الله عنه قالِ: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنِ نَستَشرف العين والأذن، وأن لا نضحي بمُقَابِلَة، ولا بمُدَابِرَة ولا شَرقَاء، ولا خَرْقَاء. صححه الألباني. انظر الإرواء (363/4).

و"المُقَابِلَة" التي قطع مقدم أذنها.

و"المُدَابِرَة" التي قطع مؤخر أذنها.

و"الشَّرقَاء" التي شقت أذنها.

و"الخَرْقَاء" التي خرقت أذنها.

ظاهر الحديث عدم إجزاء هذه العيوب، وقيل تجزئ. انظر الشرح المتمتع (400/3) والقبس (642/3).

ويجوز التضحية بمكسورة القرن.

فعن حجية بن عدي قال: كنا عند علي -رضي الله عنه- فأتاه رجل فقال: البقرة؟ فقال: عن سبعة، قال: القرن؟ -وفي رواية مكسورة القرن؟- قال: لا يضرك، قال: العرج؟ قال: إذا بلغت المنسك، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن. حسن، أنظر الإرواء(362/4).

نستشرف العين والأذن: أي نتأمل سلامتهما من آفة تكون بهما، وقيل: أن يطلبهما شريفين بالتمام والسلامة. اللسان (171/9).

وأما اليسير من هذه العيوب فيعفى عنه.

لقوله صلى الله عليه وسلم: "بيِّن عَورُها"، "بَيِّن مَرضُها"، "بَيِّن ضلعها" أي أنه يجزئ اليسير من العيب في الأضحية.

قال الخطابي في معالم السنن(199/2) : وفيه دليل على أن العيب الخفيف في الضحايا معفو عنه، ألا تراه يقول بين عورها وبين مرضها وبين ضلعها، فالقليل منه غير بين فكان معفوًّا عنه. انظر الاستذكار (125/15) والمغني (349/9).

وقال ابن رشد في البداية (315/1): وكذلك **أجمعوا** على أن ما كان من هذه الأربع خفيفا فلا تأثير له في منع الإجزاء.

تنبيه 1:

النهي عن العيوب الأربعة وما في معناها تنبيه على ما أقبح منها.

مثلا: النهي عن العوراء تنبيه على العمياء، وإذا لم تجز العرجاء، فالمقطوعة الرجل أحرى ألا تجوز، وكذلك ما كان مثل ذلك كله. الاستذكار(124/15).

وأما الوسم الذي يكون في أذن الأضحية أو جسمها، فلا يعد عيبا.

عن أنس رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم بأخ لي يحنكه وهو في مربد فرأيته يسم شاة، حسبته قال في آذانها رواه البخاري.

تنبيه 2:

الوسم -أي العلامة التي تميز بها البهيمة عن غيرها-

أما الذي يكون في وجه الأضحية منهي عنه، لحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ عليه بحمار قد وُسِمَ في وجهه فقال: "أمَا بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها". الصحيحة (65/4).

وقد نقل الإجماع على ذلك. أنظر تحفة الأحوذي (300/5).

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

بعض أحكام وآداب عيد الأضحى المبارك

إن الخير كل الخير في اتباع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمور حياتنا، والشر كل الشر في مخالفة هديه عليه الصلاة والسلام، لذا أحببنا أن نُذكر ببعض الأمور التي يُستَحب فعلها أو قولها في ليلة عيد الأضحى المبارك ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة، وقد أوجزنا في نقاط هي:

التكبير

يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة، قال الله تعالى: (واذكروا الله في أيام معدودات). وصفته أن تقول: (الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد). ويجهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات، إعلاناً بتعظيم الله وإظهاراً لعبادته وشكره.

ذبح الأضحية

ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ذبح قبل أن يصلي فليُعِدْ مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح" رواه البخاري ومسلم. ووقت الذبح أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام التشريق، لما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "كل أيام التشريق ذبح". انظر: السلسلة الصحيحة برقم2476.

الاغتسال والتطيب للرجال

ولبس أحسن الثياب بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حرام، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب، فلا يصح أن تذهب لطاعة الله والصلاة ثم تعصي الله بالتبرج والسفور والتطيب أمام الرجال.

الأكل من الأضحية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته. زاد المعاد 441/1.

الذهاب إلى مصلى العيد ماشياً إن تيسر

والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر من مطر مثلاً فيصلى في المسجد لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

الصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة ، والنساء كذلك يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحُيَّض والعواتق، وتعتزل الحُيَّض الصلاة.

مخالفة الطريق

يستحب لك أن تذهب إلى مصلى العيد من طريق وترجع من طريق آخر لفعل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

التهنئة بالعيد

لثبوت ذلك عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليجتنب الوقوع في بعض الأخطاء التي يقع فيها الكثير من الناس والتي منها:

- التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص يكبر لأنه لم يكن من هدي الصحابة.
- اللهو أيام العيد بالمحرمات كسماع الأغاني، واختلاط الرجال بالنساء اللاتي لسن من المحارم، ومشاهدة واقتراف المنكرات عموما.
- أخذ شيء من الشعر أو تقليم الأظافر قبل أن يضحي من أراد الأضحية لنهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك.

الإسراف والتبذير بما لا طائل تحته، ولا مصلحة فيه، ولا فائدة منه لقول الله تعالى: "ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" الأنعام141.

وختاماً:

لا تنس أخي المسلم أن تحرص على أعمال البر والخير من صلة الرحم، وزيارة الأقارب، وترك التباغض والحسد والكراهية، وتطهير القلب منها، والعطف على المساكين والفقراء والأيتام ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم. نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يجعلنا ممن يعمل في هذه الأيام -أيام عشر ذي الحجة - عملا صالحاً خالصاً لوجهه الكريم.

فضل أيام التشريق

أيام التشريق أيام ذكر الله تعالى وشكره وإن كان الحق أن يذكر الله تعالى ويشكر في كل وقت وحين، لكن يتأكد في هذه الأيام المباركة.

روى نبيشة الهذلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله" أخرجه مسلم وفي رواية للإمام أحمد: "من كان صائماً فليفطر فإنها أيام أكل وشرب".

وهي الأيام المعدودات التي قال الله عز وجل فيها: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) البقرة، وجاء في حديث عبد الله بن قرط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القَرّ" أخرجه الإمام أحمد.

ولما كانت هذه الأيام هي آخر أيام موسم فاضل، فالحجاج فيها يكملون حجّهم، وغير الحجاج يختمونها بالتقرب إلى الله تعالى بالأضحيات بعد عمل صالح في أيام العشر، استحب أن يختم هذا الموسم بذكر الله تعالى للحجاج وغيرهم.

وتلك سنة سنها الله تعالى عقب انتهاء بعض العبادات: ففي شأن الذكر عقب الصلاة جاء القرآن العظيم بالأمر به في قوله تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) النساء.

وفي ذكر صلاة الجمعة قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة.

وعقب الحج أمر بذلك فقال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) البقرة.

وينبغي للذاكر أن يتدبر الذكر الذي يقوله، ويفهم معناه فذلك أدعى للخشوع في الصلوات.

وهكذا التكبير المطلق مشروع أيضاً في السوق وفي البيت وفي المسجد وفي الطريق تعظيماً لله تعالى وإجلالاً له، وإظهاراً لشعائره والتأثر به، ومن ثم صلاح القلب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأفضل الذكر وأنفعه ما تواطأ فيه القلب واللسان، وكان من المأثور من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.

الذكر المتأكد في أيام التشريق:

يتأكد في هذه الأيام المباركة التكبير المقيد بأدبار الصلوات المكتوبات و غيرها، والتكبير المطلق في كل وقت إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر للحجاج وغيرهم.

وقد كان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً، وكانت ميمونة رضي الله عنها تكبر يوم النحر وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عفان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المساجد [صحيح البخاري] بل بلغ من أهمية التكبير المقيد بأدبار الصلوات أن العلماء قالوا: يقضيه إذا نسيه، فإذا نسي أن يكبر عقب الصلاة فإنه يكبر إذا ذكر ولو أحدث أو خرج من المسجد ما لم يطل الفصل بين الصلاة والتكبير.

وهكذا التكبير المطلق مشروع أيضاً في السوق وفي البيت وفي المسجد وفي الطريق تعظيماً لله تعالى وإجلالاً له، وإظهاراً لشعائره .

التكبير المطلق والتكبير المقيّد

التكبير في عيد الأضحى يبدأ من فجر يوم عرفة وينتهي عقب عصر اليوم الرابع والمأثور من التكبير "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد" وهناك صيغة وردت عن سلمان رضي الله عنه "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا"، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مشروعة في كل الأوقات ولكن تقييدها بهذه الصيغة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من صحابته الكرام.

التكبير في عيد الأضحى نوعان: تكبير مطلق، وتكبير مقيد.

فالتكبير المطلق يجوز من أول ذي الحجة إلى أيام العيد، له أن يكبر في الطرقات وفي الأسواق، ويلقى الناس بعضهم بعضًا فيكبروا الله.

وأما التكبير المقيد فهو ما كان عقب الصلوات الفرائض، وخاصة إذا أديت في جماعة، كما يشترط أكثر الفقهاء.

وكذلك في مصلى العيد وفي الطريق إليه، وفي الجلوس فيه، على الإنسان أن يكبر، ولا يجلس صامتًا، سواء في عيد الفطر، أو عيد الأضحى، لأن هذا اليوم ينبغي أن يظهر فيه شعائر الإسلام.

أما الصلوات وما يتبعها من أذكار فلم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم كقولهم: "اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد..الخ ".

والصلاة على النبي مشروعة في كل وقت، ولكن تقييدها بهذه الصيغة وفي هذا الوقت بالذات لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من صحابته الأبرار.

وكذلك ما يقوله بعض الناس بهذه المناسبة: "لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ..." لم يرد أيضًا مقيدًا بيوم العيد. وإنما التكبير المأثور الوارد هو ما كان بالصيغة السابقة الذكر " الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد".

فعلى المسلم أن يحرص على هذا التكبير، وأن يملأ به جنبات المصلى، وأن يكبر الله في أيام عشر ذي الحجة كلها.

وأما التكبير المقيد بأعقاب الصلوات فيبدأ عقب الصلاة فجر يوم عرفة، ويستمر إلى ثلاث وعشرين صلاة، يعني إلى رابع أيام العيد، حيث ينتهي التكبير عقب صلاة العصر من ذلك اليوم، وهذا الذكر المقيد هو باعتبار العبادة أما تخصيصه بدبر الصلاة فلا دليل عليه. والله أعلم.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

كيف نقرأ التاريخ الإسلامي؟

أهمية دراسة التاريخ

إن التاريخ هو ذاكرة الأمم، لا تستطيع أمة أن تعيش بلا ذاكرة، ودراسة التاريخ واستخراج الدروس والعبر منه هو دأب الأمم القوية.

فالتاريخ مرآة الشعوب وحقل تجارب الأمم، في صفحاته دروس وعبر للمتأملين، لأنه نتاج عقول أجيال كاملة، والأمة التي تُهْمِل قراءة تاريخها لن تحسن قيادة حاضرها ولا صياغة مستقبلها.

وخير شاهد على ذلك أن الأمم التي ليس لها تاريخ تحاول أن تؤلف لنفسها تاريخًا، ولو مختلقًا، حتى يكون لها ذكر بين الأمم - كما هو حال الدولتين اللقيطتين أمريكا وإسرائيل.

فوا عجبًا لأمة لها تاريخ عريق مشرِّف تخاصمه ولا تستفيد منه، وتعتبره ماضيًا زال وتراثًا باليًا.

يقول "أرنولد توينبي" في محاضرة ألقاها في القاهرة في الستينيات من القرن الميلادي المنصرم: "إن الذين يقرءون التاريخ ولا يتعلمون منه أناس فقدوا الإحساس بالحياة، وإنهم اختاروا الموت هربًا من محاسبة النفس أو صحوة الضمير والحس" !!...

ويقول "أحمد شوقي":

اقرءوا التاريخ إذ فيه العبر   ضل قومٌ ليس يدرون الخبر

فهذه دعوة للأمة المسلمة ذات التاريخ العريق - أفرادًا وجماعات - لقراءة تاريخها قراءة واعية تستخرج منه الدروس والعبر، وتستخرج منه منهاجًا للحركة والفهم، يفيدها في مسيرة نهضتها واستشراف مستقبلها، حتى يعود للأمة مجدها وتستعيد مكانتها وعزتها أمام الأمم.

فالقراءة المطلوبة هي قراءة متدبرة، تقف أمام أحداث التاريخ الإسلامي متفحصة مدققة، ليست سردًا تاريخيًا للأحداث بقدر ما هي تنقيب بين أسطره على مدلولات هذه الأحداث والوقائع، وعلاقتها بواقعنا المعاصر.

لذا نستطيع في هذه العجالة أن نقف أمام بعض الدروس لعلها تكون دافعًا للأمة لكي تسعى لضبط مسيرتها بالسنن الربانية التي وعاها أسلافنا فضبطت مسيرتهم وحفظت جهادهم.

لكن قبل ذلك نوضح أمرين:

أولهما: التاريخ ليس سردًا للأحداث ولا تسجيلاً للوقائع والأقاصيص، ولكنه تفسير لكل هذه الأحداث والوقائع، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان.

ويعرف ابن خلدون التاريخ فيقول:

"...فإن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُشَدُّ إليها الركائب والرحال، وهو في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق".

فالتاريخ ليس سردًا مجردًا للأحداث، لكنه في حقيقته وقوف أمام تلك الأحداث لتحليلها وتفسيرها والربط بينها واستخراج الدروس التي يمكن الاستفادة منها في حاضرنا ومستقبلنا.

ثانيهما: أن الإسلام اهتم بدراسة التاريخ عن طريق:

1- وردت في القرآن إشارات كثيرة إلى أهميه دراسة سير الأولين والتأمل فيها وأخذ العبر منها: قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (آل عمران/133).

وقوله: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يوسف 111، وقوله تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف 176.

2- وفي السُّنة: حديث "أعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - المسلمين بحوادث ستقع في المستقبل حتى يكونوا على وعي بالحاضر والمستقبل" مثل فتح القسطنطينية ورومية ومثل المعارك التي ستقع مع اليهود والنصارى وأحداث الساعة ... وغيرها.

3- كذلك اهتم القرآن بقصص الأنبياء للتسلية والتسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته، وكذلك لاستلهام الخط الواصل في الصراع بين الحق والباطل، كما ظهر ذلك من سرد قصص نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

4- كذلك اهتم علماء السلف بالتصنيف في التاريخ لخدمة هذه الأمة أمثال الإمام الطبري وابن كثير والذهبي وغيرهم.

ثم نأتي إلى أهم الدروس المستفادة من التاريخ:

أولها: الاتعاظ والاعتبار بالقرون الخوالي:

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ} يوسف: من الآية 111. فالغرض الأساسي من دراسة سير الغابرين هو أخذ العبرة والعظة لما حدث معهم، فقد حدثنا التاريخ كثيرًا عن أمم غابرة وما حدث لها من ظهور ثم سقوط وهلاك، فكان لزامًا علينا دراسة سيرهم لنقف على أسباب ظهورهم وسقوطهم ونستخرج النتائج ونربط بينها.

كذلك يتحتم علينا دراسة تاريخ الأمة المسلمة منذ نشأتها وظهورها في الأرض وانتشارها وسيطرتها على أكثر من نصف الكرة الأرضية، ثم انكماشها رويدًا رويدًا، وما استتبع ذلك من سقوط الخلافة وانتهائها، وما آل إليه الأمر في النهاية، من تنحية شرع الله عن حكم الأمة واستيراد القوانين الوضعية بدلاً عنه، ثم تمزيق جسد الأمة، والتمكين لأعداء الإسلام وعملائه في ديار المسلمين.

إن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُشَدُّ إليها الركائب والرحال، وهو في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق.

أي يجب علينا دراسة خط انحراف الأمة منذ ظهورها وحتى سقوطها، وذلك لأخذ العبرة والعظة، ودراسة عوامل الظهور ومقوماته، ثم أسباب السقوط ونتائجه، واستخراج الدروس والعبر من كل ذلك.

ثانيها: استخراج الدروس التربوية من التاريخ:

ارتبط هذا الدين منذ ظهوره واستخلافه في الأرض بقيم أخلاقية وتربوية، استطاعت أن تصوغ أخلاق وسلوكيات هذه الأمة، وأن تغير من واقع حياتها، لنتأمل حال العرب قبل الإسلام وبعده، واستطاع الإسلام أن يصوغ ويغيِّر من أخلاقهم وقيمهم وسلوكهم وتصوراتهم، فتغيروا إلى أحسن حال.

لذا فالاستفادة من التاريخ في استخراج هذه الدروس التربوية، ومعرفة كيف استطاع الإسلام أن يغير من واقع هؤلاء القوم، حتى يكون ذلك منهاجًا لنا في تغيير القيم والتصورات الدخيلة على واقع وحال الأمة الإسلامية في وقتنا الحالي.

كذلك لنستفيد من هذه الدروس التربوية في إيجاد منهج تربوي أصيل يستطيع أن يخرج لنا أجيالاً راشدة وصياغتها الصياغة الإسلامية المطلوبة.

ثالثها: تتبع السنن والقوانين الربانية التي تحكم هذا الكون:

أوجد المولى عز وجل سننًا وقوانين ربانية تحكم هذا الكون، وتحرك آلياته، ولم يترك مجالاً للصدفة أو الحظ، هذه السنن تجيب لنا عما يحدث في الكون وفي الحياة من أحداث.

يقول الدكتور ماجد عرسان: "...في التاريخ قوانين تحكم الأحداث والظواهر، وتوجهها الوجهة التي يقتضيها منطق القانون، والخروج على هذه القوانين أو الانسجام معها هو كالخروج على قوانين النفس والغذاء وقوانين ضغط الغازات والانسجام معها، والذين يتقنون فقه هذه القوانين وتطبيقها هم الذين يستمرون في الحياة ويتفوقون في ميادينها.

وهذا يعني أن الأمة التي يتولى زمام أمورها "فقهاء" يفقهون قوانين بناء المجتمعات وانهيارها، ويحسنون تطبيق هذه القوانين، فإنهم يقودون أممهم إلى التقدم والنصر والرفعة لا محالة.

وأما الأمة التي يتولى زمام أمورها "خطباء" يحسنون التلاعب بالمشاعر والعواطف، فإنها تظل تتلهى بالأماني التي يحركها هؤلاء الخطباء، حتى إذا جابهت التحديات لم يفقهوا ما يصنعون، وآل أمرهم إلى الفشل، وأحلوا قومهم دار البوار".

لذا فالمطلوب منا حيال هذه السنن والقوانين هو تتبعها وإدراكها، والاستفادة منها في فهم الواقع، وتسخيرها من أجل حدوث النهضة المطلوبة للأمة.

رابعها: معرفة مخططات أعداء الإسلام في محاربة هذه الأمة:

الصراع بين الحق والباطل من سنن الله في هذا الكون، وهو مستمر إلى قيام الساعة لقوله تعالى: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}. يتجلى هذا في وقوف أعداء الإسلام يهودًا ونصارى ومشركين بالمرصاد لهذه الأمة وذلك منذ البعثة الشريفة وخلال مدة النبوة، مرورا باغتيال الفاروق عمر رضي الله عنه، والسعي بالفتنة بين الصحابة بعد التحريض على قتل الخليفة ذي النورين صهر رسول الله وابن بنت عمته البيضاء بنت عبد المطلب، ثم تتابعت فصول المؤامرات، وكشرت الأعداء عن أنيابها فكانت الحروب الصليبية، وسقوط الأندلس، وبلغ تآمرهم ذروته عند تمكنهم من إسقاط الخلافة العثمانية وتقسيم أراضي المسلمين بينهم.

وما حدث في البوسنة وكوسوفا على يد الصرب الصليبيين، وما يحدث للفلسطينيين على أيدي اليهود وبمساعدة الأمريكان، الذين يعيثون في الأرض فسادًا في أفغانستان والعراق. و ما يعيشه الشيشانيون على أيدي الروس، وما يحدث لمسلمي تركستان على يد الصين، ومسلمي الهند على يد الهندوس، وفي الفلبين، كذلك ما حدث على يد الباطنيين المجوس في القديم والحديث، وما يحدث في كل بلاد المسلمين هو امتداد لهذا العداء التاريخي الحاقد، وهدفه هو القضاء على الإسلام والمسلمين.

فدراسة التاريخ تحذرنا من مخططاتهم التي تنخر في جسد الأمة، فيجب علينا دراسة هذه المؤامرات وتتبع تاريخها حتى تكون مرشدًا لنا في تعاملنا معهم، وتعلمنا الحذر من دسائسهم وحقدهم.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

مذابح الأرمن المزعومة والعدالة الغربية المزيفة

جذور الأزمة وحقيقتها

تضرب العلاقات التركية الأرمينية بجذورها إلى مطلع القرن السادس عشر، عندما نجح الأتراك العثمانيون في ضم بلاد ما بين النهرين، وأرمينيا، ومعظم المناطق العربية في آسيا وإفريقيا إلى إمبراطوريتهم.

ورغم طول الفترة التي عاشها الأرمن تحت سيادة الدولة العثمانية، إلا أن الحديث عن أزمة الأرمن مع النظام الحاكم بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وهي الفترة التي شهدت تنامي الحركات القومية في أوروبا، وقفت وراءها الدول الاستعمارية التي كانت تتسابق بينها على نهب واغتصاب تركة الخلافة الإسلامية التي أطلقوا عليها اسم "رجل أوروبا المريض".

وقد عاش الأرمن كغيرهم من الأجناس التي ضمتها الإمبراطورية العثمانية، في حياة ملؤها العدل والمساواة، مما مكن بعضهم من احتلال منصب الوزير، وكان تعدادهم داخل الدولة الإمبراطورية لا يزيد على مليوني شخص.

ولافتعال الأزمة بين الدولة ورعاياها من الأرمن حاولت الدول المتربصة بالخلافة العثمانية استفزاز السلطان، حيث ألزموه في معاهدة برلين على إجراء إصلاحات لصالح الأرمن في 6 ولايات عثمانية في الأناضول، ولم تكن تبلغ أكبر نسبة لكثافتهم السكانية في أي ولاية أكثر من 20، إلا أن السلطان رفض تطبيق هذه المادة من المعاهدة؛ فقام الأرمن -بإيعاز من بعض الدول الكبرى- بارتكاب مذابح بشعة ضد المسلمين القرويين، حيث بقروا بطون الحوامل وقتلوا النساء، وقطعوا عورات الرجال وحرقوا المساجد.

ولم يكتف الأرمن بإشاعة الفوضى وارتكاب المذابح بحق القرويين، بل قاموا بأعمال شغب في إستانبول نفسها سنة (1313هـ=1892م)و(1314هـ=1896م)، وقد واجهتها القوات العثمانية بحزم، أما الدول الكبرى فتركت الأرمن لحالهم بعد أن أوقعتهم في الأزمة.

فحاول الأرمن جذب انتباه الدول العظمى إليهم فخططوا لاغتيال السلطان عبد الحميد سنة (1323هـ=1905م) فيما عرف بحادث القنبلة، لكنهم فشلوا في اغتيال السلطان، ومات بعض الأمراء والجنود، وقبض على المتآمر البلجيكي "جوريس"، لكن السلطان عفا عنه، بل استخدمه في جمع معلومات له في أوروبا.

ولم يجد السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى بُدًا من مواجهة هذا الإرهاب الصليبي، فشنت بالتالي الصحافة الغربية حملة شعواء عليه ووصفته بالسلطان الأحمر.

وقد ذكر المرحوم السلطان عبد الحميد ذلك في مذكراته عن محاولات الاستعمار الأجنبي زعزعة الخلافة العثمانية من الداخل إذ قال: **"وهل تستحق الدولة العثمانية هذه الحملات، وقد آوت النصارى الهاربين من جحيم الصراع المذهبي في الغرب خلال القرون الوسطى؟**

ألم تكن الدولة العثمانية هي الملجأ الوحيد لليهود الناجين من بطش محاكم التفتيش في إسبانيا؟

ألم تبذل جمعية الهلال الأحمر العثمانية كل جهد ممكن لإيجاد المأوى والملبس لمن طرد من وطنه في سبيل معتقده؟

ولكن من يعرف هذه الحقائق التاريخية أو يعترف بها؟

فماذا يقول "غلادِستُون"، وهو رجل إنجلترا الأول عن المسألة الشرقية، سوى التعريض بنا بأن بلادنا تحكم بالقوة والبطش بلا قوانين ولا أعراف، ألم يثبت كذب ما ادّعوه من وقوع مذابح للبلغار والأرمن؟

ألم يتبين أن أمر التخريب الذي زعموه في المدن بعد طرد سكانها هو محض افتراء؟ وأن النصارى يعيشون مع المسلمين حياة طبيعية وجنباً إلى جنب؟".

ففي الوقت الذي تثار فيه الأكذوبات من طرف ساسة الغرب الذين لا يملون الدندنة حول مذابح الأرمن المزعومة ومحارق الهولوكوست المحبوكة، وما ادَّعوه من حرق النازية لآلاف اليهود في المحارق، التي ما زالت الصهيونية تبتز فيه الغرب بشكل خاص، والعالم بشكل عام بتلك المحارق التي كانت أحد تبريراتها لاحتلال فلسطين, نرى فيه أن هذا العالم نفسه يتحاشى الخوض في الأحداث العظام التي كان ضحيتها المسلمون عبر التاريخ، خاصة المذابح التي ارتكبتها أوربا في الأندلس بعد محاكم التفتيش التي ذهب ضحيتها آلاف وآلاف المسلمين، وإذا كانت محارق النازية قد استمرت أعواماً، فإن قتل وإحراق وتعذيب المسلمين عبر محاكم التفتيش استمر مئات من الأعوام.

> **فمن يذكر المليون قتيل في أرض الجزائر ومن يدين فرنسا ويحملها المسؤولية ويجبرها على دفع التعويضات لأهالي ضحايا استعماراتها وتقتيلها المنهج للمسلمين والأفارقة، ومن ينتصر لآل عبد الكريم الخطابي أهل الريف الحبيب الذين قاوموا إسبانيا "دولة محاكم التفتيش " فألقوا عليهم الغازات الكيماوية السامة فقتلوا الآلاف، ومن يذكر أهل البوسنة والهرسك، والتصفية التي مورست عليهم.**

موقف الدول الغربية من مشكلة الأرمن

في الوقت الذي تفتح فيه دول الغرب النصراني أرشيفها، ووثائقها للصهيونية؛ لتؤلف منه ما تدَّعي أنه وثائق عن محارق اليهود في عهد النازية، وتؤيد دعاوى الأرمن وتلزم تركيا بالاعتراف بذنبها حتى تنظم إلى الاتحاد الأوربي، نجد نفس الدول تتواطؤ على قتل المسلمين في فلسطين والعراق والبوسنة والهرسك والصومال وكشمير والشيشان وأفغانستان .

وبما أننا لا نقرأ التاريخ ما زال البعض يثق في عدالة الأمم المتحدة التي يسيرها من أنشأها أول مرة بهدف توزيع تركة الخلافة التي قضى أعداؤها في إسقاطها أزيد من خمسة قرون متتالية من الحروب والمعارك.

فلماذا تطالب الدول الأوربية وأمريكا من تركيا الاعتراف بمذابح الأرمن المزعومة رغم أنها قضية وقعت خلال فترة الحرب العالمية التي قتل فيها ملايين البشر من مختلف الأجناس والأعراق على أيدي دول مثل فرنسا التي تبنت موقف أرمينيا نفسه؛ حيث أقرت الجمعية الوطنية في يناير 2001 قانوناً يتضمن الاعتراف بوقوع مذبحة وتهجير جماعي للأرمن في الأناضول، خلال الحرب العالمية الأولى عام 1915م.

فيما فضلت دول أخرى تبني موقفا وسطا حيال الأزمة، فسويسرا على سبيل المثال رفضت حكومتها استخدام مصطلح "الإبادة الجماعية"، في خطابها بشأن ما حدث للأرمن، وتستعمل - عوضًا عن ذلك - عبارة "التخلص الجماعي، والمذبحة التي شهدتها الحقبة الأخيرة من الدولة العثمانية"، عند الحديث عن مشكلة الأرمن.

إلا أن الموقف الرسمي الأوروبي بصفة عامة يمكن اعتباره مساندًا للمطالب الأرمينية؛ حيث اعتبر البرلمان الأوربي - في بيان له في يوليو 1987 - "أن الأحداث التراجيدية لأعوام 1915-1917، هي عملية إبادة جماعية، استنادًا إلى معايير اتفاقية الأمم المتحدة في 1948".

وربط البرلمان الأوروبي انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي، باعتراف تركيا بالمذابح الجماعية للأرمن، ولكن بدون ترتيب تبعات سياسية أو قانونية أو مادية لذلك الاعتراف.

وفي 28 سبتمبر 2005 أصدر البرلمان الأوروبي قراراً غيرَ ملزم طالب فيه تركيا بالاعتراف بحدوث "إبادة جماعية" للأرمن في العهد العثماني - عام 1915 - كشرط مسبق للانضمام للاتحاد الأوروبي.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه المذبحة المزعومة وقعت بين 1915م-1923م، فعندما تفجرت شرارة الحرب العالمية الأولى - في عام 1914 - اختارت تركيا الانضمام للمعسكر الألماني، فيما انضمت روسيا للمعسكر الأنجلو-فرنسي، الأمر الذي جعل تركيا وجها لوجه مع روسيا.

ونظرًا لأن منطقة شرق الأناضول؛ التي تسكنها أعداد كبيرة من الأرمن الأرثذوكس؛ كانت إحدى الجبهات التي كانت مسرحًا للحرب بين الدولتين، قامت تركيا بتهجير أعداد كبيرة من الأرمن إلى سوريا ولبنان والموصل، خشية انضمام الأرمن إلى الروس في الحرب، خصوصًا، وأن الأرمن كانوا مدفوعين إلى الاستقلال بتحريض من روسيا القيصرية.

إلا أن عمليات التهجير هذه صاحبها مقتل أعداد كبيرة من الأرمن.. بعضهم على يد الأهالي والآخر على يد الجيوش العثمانية، وبعضهم الآخر بسبب الجوع والعطش.

وبعد انتهاء الحرب وضعت الدول الكبرى الأربع

(إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا)مسودة صيغة تحدد أهداف الحلفاء من الحرب، وقد نصت الفقرة التي تتناول القوميات من رعايا الإمبراطورية العثمانية على أنه: "نظرًا لسوء إدارة الأتراك لرعاياهم من الشعوب الأخرى والمجازر الرهيبة التي ارتكبوها ضد الأرمن، وضد شعوب أخرى كالسريان - خلال السنوات الأخيرة - فإن الحلفاء والقوى المرتبطة بها، وافقوا على وجوب اقتطاع أرمينية وسورية وبلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية

- بصورة نهائية - عن الإمبراطورية التركية".

مذابح الأرمن المزعومة والعدالة الغربية المزيفة

في الوقت الذي تطلب فيه هذه الدول من "تركيا" الاعتراف بمذابح الأرمن المزعومة نراها لا تأبه بما فعله بعضها أو جلها بالآخرين من قتل وتشريد وتهجير وإبادة.

فمن يذكر المليون قتيل في أرض الجزائر ومن يدين فرنسا ويحملها المسؤولية ويجبرها على دفع التعويضات لأهالي ضحايا استعماراتها وتقتيلها المنهج للمسلمين والأفارقة، ومن ينتصر لآل عبد الكريم الخطابي أهل الريف الحبيب الذين قاوموا إسبانيا "دولة محاكم التفتيش " فألقوا عليهم الغازات الكيماوية السامة فقتلوا الآلاف، ومن يذكر أهل البوسنة والهرسك، والتصفية التي مورست عليهم، ومن يدين ما قام به الأوربيون من يهود ونصارى من إبادة شعب الهنود الحمر بكامله إلا النزر القليل واستلائهم على ثرواته وأرضه، بل من يكره أمريكا على الإبادة الجماعية التي اقترفتها في اليابان من خلال إلقاء قنبلتين نوويتين على أهالي "نكازاكي" و "هيروشيما" ثم بعد ذلك يتبجح هؤلاء بأنهم يريدون رد المظالم إلى أهلها.

لذا، لا يجب علينا نحن المسلمين أن يغيب عنا أن اليهود والنصارى إنما يستعملون التاريخ لأغراضهم السياسية ويكيِّفونه كما شاؤوا متى شاؤوا، وهذا ما يفسر كون المسألة الأرمينية ظلت هادئة على المستوى الدولي على امتداد تاريخ الحرب الباردة وخلال الصراع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، حيث كانت الدول الغربية تعتمد على تركيا في محاربة المد الشيوعي، إلا أنه - ومع تفكك الاتحاد السوفيتي، واستقلال أرمينيا عن روسيا في عام 1991 - ظهرت المشكلة الأرمينية من جديد لتجد تركيا نفسها بعد حوالي تسعة عقود من الزمن وجهًا لوجه أمام عقبة جديدة ستحدد - بشكل كبير - مستقبل علاقتها السياسية مع أوروبا، وربما عرضة اقتصادها للإنهيار إذا ما حكم عليها بدفع تعويضات لأرمن كما وقع لألمانيا بخصوص الهولوكست.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

أبو الطيب المتنبي

إعداد: إبراهيم الوزاني

إن الدارس المتأمل للشعر العربي في كل عصوره، لا يستطيع أن يتجاهل أحدَ رموزه الكبار، أبا الطيب المتنبي.

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب، الشاعر الحكيم وأحد مفاخر العرب، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، من أذكياء عصره بلغ الذروة في النظم وأربى على المتقدمين وسار ديوانه في الأفاق، يعده علماء الأدب أشعر الإسلاميين، ولد سنة ثلاث مئة في الكوفة في حي (بني كندة) ولذلك يقال له (الكندي) و(الكوفي)، وهو من بني جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج من اليمن، عرب الجنوب، ولذلك يقال له الجعفي، نشأ بالكوفة وتلقى فيها جانبا من العلوم ثم غادرها إلى الشام وتنقل بين مدنها، يطلب العلم والأدب وأيام الناس، أثار في نواحي (حمص) فتنة بين الأعراب ودعاهم إلى الامتناع عن دفع الضرائب، وقيل إنه ادّعى النبوة وفتن الناس بقوة سحره وبيانه. ولما اشتهر أمره أخذه (لؤلو) أمير حمص من قبل الإخشيدي صاحب مصر، فسجنه مدة، ثم استتابه وأطلقه، فتوجه إلى أنطاكية واتصل بأبي العشائر أميرها من قبل سيف الدولة، فأكرم مثواه وقدمه إلى سيف الدولة، فحسن عنده موضعه ومدحه بقصائد غراء، ثم حدثت بينهما جفوة ففارقه إلى مصر سنة 346هـ وامتدح كافورا، صاحب السلطان في مصر ومدحه، وطلب منه أن يوليه فلم يفعل فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه، وتوجه إلى الكوفة ثم صعد إلى بغداد سنة 351هـ، وفيها جاءته دعوة من ابن العميد وزير ركن الدولة البويهي فذهب إليه في (أرجان)، ثم كتب إليه عضد الدولة البويهي من (شيراز) يستزيره أيضا، فسار إليه المتنبي ومدحه وعاد بعد ذلك يريد بغداد والكوفة، فعرض له زفاتك بن أبي جهل الأسديس أحد رؤساء الأعراب في موضع يقال له (الصافية).

كان المتنبي شاعرا من شعراء المعاني وفّق بين الشعر والحكمة، وجعل أكثر عنايته بالمعنى يسكبه في بيت واحد مهما اتسع ويصوغه بأبدع صياغة تأخذ بلبِّ من ينشد قريضه، أطلق الشعر من قيوده التي قيده بها أبو تمام وخرج عن أساليب العرب المخصوصة، فهو إمام الإبداع في الشعر العربي، وأشعر المحدثين، ضَمَّن شعره كثيرا من الأمثال والحكم، واختص بالإبداع في وصف القتال، وأجاد التشبيه وإرسال المثلين في البيت الواحد، وأبدع في المديح والهجاء، وظل شعره مددا في كل عصر لكل شاعر وكاتب، وما يزال المتنبي يحتفظ بمجده وشهرته إلى يومنا، لا يدانيه أحد من الشعراء.

ونورد من روائع أقواله وأمثاله بعضا مما جاء في شعره: ففي التبرم بالحياة وتمني الموت لندرة الصديق يقول:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن أرى
صديقا فأعيا أو عدوا مداجيا

وفي الفخر بنفسه يقول:

وما أنا إلا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا

وفي علو الهمة وتمجيد الكرامة:

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه
وأراد لي فأردت أن أتخيرا

ونراه يمتدح شعره بقوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا

وما قلت من شعر كأن بيوته
إذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

وقد كثرت في شعر المتنبي الأمثال الحكمية ونحن نقتطف بعضا منها مما يدلّ على عمق بصيرته ونفاذ تفكيره:

ومن صحب الدنيا طويلا تكشفت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
لو فكر العاشق في منتهى
حسن الذي يسبيه لم يسبيه
فإن قليل الحب بالعقل صالح
وإن كثير الحب بالجهل فاسد
وما الحسن في وجه الفتى شرف له
إذا لم يكن في فعله والخلائق
وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
ومِن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد
ومن البلية عذل من لا يرعوي
عن غيه وخطاب من لا يفهم

وبعدُ، فهذا غيض من فيض من أقواله التي تضمنت روائع معانيه وأمثاله التي يُستشهد بها، وفيها حكمة بالغة وأدب رفيع وإعجاز، في حسن الصياغة وابتداع المعاني وابتكار الصور المبدعة. وفي ذلك اليوم من عام 354هـ أخمد لص وقاطع طريق ذلك الصوت الشجي الذي أنشد فأطرب، ومدح فأعجب ورثى فأبكى وهجا فأوجع، ووقف ومعه ابنه وغلامه يقارع ثلاثين فارسا برماحهم وسيوفهم، بشجاعة نادرة، وأبت عليه همته وعزة نفسه، التي طالما تغنى بها، أن يستسلم فيستذل للأسر، وانطوت بموته صفحة مشرقة من أدب العرب وشعرهم، ولما يكتمل عقده الخمسون.

رثائية من روائع شعر أبي الطيب المتنبي
أبَنّ من خلالها أم سيف الدولة

نُعدِ المَشرَفِيةَ[1] والعَوالِي[2] … وتقتلنا المنون بلا قِتال
ونَرْتَبِطُ السَّوابِقَ مقرباتٍ … وما يُنجِينَ من خبَبِ[3] اللّيالي
ومَنْ لَم يَعشقِ الدّنيا قديما؟ … ولكِنْ لا سَبيلَ إلى الوِصالِ
نصِيبُكَ في حَياتِك من حَبيبٍ … نَصيبُكَ في مَنامِك مِن خيالِ
رماني الدهر بالأرزاءِ حتى … فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت إذا أصابتني سهام … تكسّرتِ النِّصالُ[4] على النصال
وهان فما أُبالي بالرزايا … لأني ما انتفعت بأن أبالي
وهذا أولُ النّاعين طُرا … لأوّلِ ميتة في ذا الجلالِ
كأنّ الموتَ لم يفجعْ بنفس … ولم يخطر لمخلوق ببالِ
صلاةُ الله خالقنا حَنوط … على الوجه المكفّنِ بالجمالِ
على المدفون قبلَ التُّربِ صَوْنًا … وقبل اللحد في كرمِ الخِلالِ
فإنّ له ببَطْنِ الأرض شخصًا … جديدًا ذكرناه وهو بالي
وما أحَد يخلُد في البَرايا … بل الدُنيا تؤول إلى زَوالِ
أطَابَ النّفسَ أنّكِ مُت مَوْتًا … تمنّته البواقِي والخوالِي
وزُلتِ ولم تَرَيْ يوما كريها … تُسَرّ الرّوحُ فيه بالزّوالِ
رِوَاقُ العِزّ فوقكِ مُسبَطِرٌ[5] … ومُلْكُ عليّ ابْنِكِ في كمالِ
سقى مثواك غادٍ في الغوادي[6] … نظيرُ نوالِ كفّك في النّوالِ
لِسَاحِيه[7] على الأجداثِ حفشٌ[8] … كأيدي الخيْلِ أبصرَتِ المَخالِي
أُسَائِلُ عنك بعدَكِ كلَّ مَجْدٍ … وما عَهدي بمَجْدٍ عنكِ خالِي
يَمُرّ بقبركِ العافي[9] فيَبكي … ويشغَلُهُ البُكاءُ عَنِ السُّؤالِ
وما أهداكِ للجَدْوَى عليْهِ … لَوَ أنّكِ تقدِرِينَ على فَعَالِ
نزلتِ على الكَرَاهةِ في مكانٍ … بَعُدْتِ على النُّعَامَى[10] والشمَالِ[11]
تُحَجَّبُ عنكِ رائحةُ الخُزَامى[12] … وتُمنَعُ منكِ أنْداءُ الطّلالِ[13]
بدارٍ كلّ ساكِنها غَريبٌ … بعيدُ الدّارِ مُنْبَتٌّ الحِبَالِ
حَصانٌ[14] مثلُ ماءِ المُزْنِ فيهِ … كتوم السر صادقة المقالِ
يعلّلِها نِطاسِيٌّ[15] الشكايا … وواحِدُها نِطاسِيُّ المَعَالِي
إذا وَصَفُوا لهُ داءً بثغْرٍ … سَقَاه أسِنّةَ الأسَلِ الطّوالِ
ولَيْسَت كالإناثِ ولا اللّواتِي … تُعدّ لها القُبورُ مِنَ الحِجالِ[16]
ولا مَن فِي جَنازَتِها تِجارٌ … يكونُ وَداعُها نَفضَ النّعالِ
مشى الأمَراءُ حَوْلَيها حُفاةً … كأنّ المَرْوَ[17] مِن زِفّ[18] الرِّئالِ[19]
وأبْرَزَتِ الخُدورُ مُخَبَّآتٍ … يَضَعْنَ النِّقْسَ[20] أمكِنَةَ الغَوالِي[21]
أتتهُنَّ المُصِيبَةُ غافِلاتٍ … فدَمْعُ الحُزْنِ في دَمعِ الدّلالِ
ولوْ كانَ النّسَاءُ كمَن فقَدْنا … لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ
وما التّأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ … ولا التّذكيرُ فَخْرٌ للهلالِ
وأفجَعُ منْ فقدنا مَن وَجَدنا … قُبَيْلَ الفقدِ مَفْقُودَ المِثالِ
يدَفّنُ بَعضُنا بعضاً وتَمْشي … أواخِرُنا على هامِ الأوالِي
وكَمْ عَيْنٍ مُقبَّلَةِ النّواحي … كَحيلٌ بالجَنادِلِ[22] والرّمالِ
أسَيْفَ الدّولةِ اسْتَنجِدْ بصَبْرٍ … وكيفَ بمِثلِ صَبرِكَ للجِبَالِ
وأنتَ تُعلِّمُ النّاسَ التّعَزّي … وخَوْضَ المَوتِ في الحربِ السِّجالِ[23]
فلا غِيضَتْ بِحارُك يا جَمُوماً … على عَلَلِ الغَرائبِ والدِخالِ
رأيتُك في الّذين أرى مُلُوكًا … كأنَّك مُستَقِيمٌ في مُحالِ
فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُم … فإنَّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ

شرح الكلمات:

1- **المشرفية**: السيوف، 2- **العوالي**: الرماح.
3- **الخبب**: الجري السريع، 4- **النصال**: أعواد السهام،
5- **مسبطرّ**: ممتد مخيّم، 6- **الغادي**: السحاب المطر.
7- **الساحي**: الذي يخدد الأرض، 8- **الحفش**: شدة الوطأة.
9- **العافي**: طالب الإحسان قاصده.
10- **النُّعامى**: ريح الجنوب، 11- **الشّمول** :ريح الشمال.
12- **الخزامى**: نبت صحراوي طيب الرائحة.
13- **الطلال**: ج طل وهو المطر القليل.
14- **حَصان** (بالفتح) محصنة، مصونة.
15- **النطاسي**: الطبيب الماهر، 16- **الحجال**: الأستار.
17- **المرو**: نوع من الحجارة البيضاء.
18- **الزف**: صغار الريش.
19- **الرئال**: جمع رأل وهو صغير النعام.
20- **النقس**: الحبر، 21- **الغوالي**: ما تتعطر به النساء.
22- **الجنادل**: الحجارة.
23- **السجال**: الأخذ والعطاء الكر والفر.
24- **الجموم**: الممتلى دهاقا.

العربية تشتكي

إبراهيم أنفلوس

نعيش في هذه الأزمنة المتأخرة، والأسى يفت قلوبنا، ويغرز الشجا سهامه في صدورنا، وتتقطع أكبادنا، أسفا وألما على ما تعانيه الأمة الإسلامية من أمراض مختلفة الصور، متفاوتة الخطر: جهل بتعاليم الإسلام وأهم مبادئه.. ضعف الغيرة عليه.. انحطاط وتدهور في المجالات الاقتصادية.. تأخر في الفكر والثقافة.. فالله المستعان وإليه المشتكى.

ومن هذه العلل التي أصابت الأمة: تعرض لغتها: للإهمال والإعراض، والتلاشي والاندثار، وهذه العلة كافية أن تبعث الأسف كل الأسف في قلب كل غيور على دينه وشعائره، لكنها تنفث فيه الحياة من جديد ليقوم قومة رجل صحيح يعمل لدينه ولغته، ويسهم في استعادت عزّ أمته ومجدها، وليتابع سير سلفها وأجدادها.

غربة الدين واللسان

فكما يعاني المسلم المتمسك بدينه الغربة بين قومه في هذا الزمان، نجد لغة الدين هي بدورها تعاني الغربة وسط كمّ هائل من اللغات واللهجات، فصارت تتعرض للهجمات والطعنات، وأصبحت تهدد في عقر دارها من حين لآخر بإخراجها من هذا المعهد وذاك، وتلمز بين الفينة والأخرى من طرف خفي أو جلي بأنها ليست من اللغات الحية!

ولنا أن نتساءل: أيّ حياة تمتاز بها غيرها وتفقدها لغتنا، أليست لغة الضاد قد تميزت بما لا توازيها فيه لغة أخرى: فقد وسعت كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما تميزت -لسعتها وكثرة ألفاظها- بلطيف العبارات، ودقيق الكلمات، التي تؤدي معاني مركّزة، مع وجود كلمة مقاربة لها في المعنى، فتجد كل لفظ يؤدي معنى زائدا على لفظ قد يشابهه في المبنى، أوقد يقاربه في المعنى، كما تفوقت ببليغ العبارات وفصيحها، وسهولة أساليبها وسلاستها، كما يمكن أن يوصل المخاطِب إلى مخاطَبه من مراده المقصود بأوجز عبارة، وأجزل جملة، ما يعجز أن يوصله بغيرها من اللغات إلا بالكلام المسهب الطويل.

فهذه فروق تميزت بها لغتنا على غيرها من اللغات مهما تبجح بها أصحابها، ونظّروا لها، وحاولوا إعلاءها بإقصاء لغتنا. فيا لله ما أجدرها بالاعتناء والاهتمام!

إن أعداء الإسلام من الملاحدة والمستشرقين هم الذين هوّنوا من شأن هذه اللغة، وأرجعوا إليها كل ضعف في مستوى الثقافة والتحصيل العلمي، ودعوا إلى العامية تارة وإلى اللاتينية أخرى، ومعروف أن أول كتاب دعا إلى استعمال العامية كتبه قاض إنجليزي في مصر عام 1902م.

فأي محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيل منها، على أيّ وجه من الوجوه، سواء ما استتر تحت وجه الإصلاح، أو تظاهر بادّعاء التطوير، أو التفجير اللغوي، أو الدعوة إلى العامية كما حدث في عصرنا الحاضر أو غير ذلك، كل ذلك سيصل في آخر الأمر إلى مسّ الركنين الشريفين للأمة الإسلامية، ألا وهما المصدران المقدسان: الكتاب والسنة، ومن ثمّ تحريفهما عن الحقيقة التي جاءا عليها، وهذا هو القضاء المبرم والهدم الحقيقي لإزالة هذا الدين من الوجود والتخطيط لاقتلاع جذوره أو قلب حقائقه، فهل دخلت الجهمية لتحريف عقائد الناس إلا من هذه الثغرة: فسرت كلمة "استوى":بـ"استولى"، وهكذا تجد أهل البدع يستغلون هذا الجانب لبث سمومهم القاتلة في الفتك بالعقائد الصحيحة. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وفي هذا الزمان الذي ازدادت فيه المِحْنَةُ في هُجْنَةِ اللسانِ العربي، واستولت اللكنة على ألسن الناس، وغابت بينهم الكلمات العربية الفصيحة بنطقها السليم، وطغت مولدات التغريب على لغة القرآن، فَعَظُمَ العُدْوان على بنت عدنان، وندر الآخذون بالثأر وقلَّ الموقظون لأمتهم عن تغريب اللسان، أدعو -مدافعا ومنافحا- جميع المسلمين وخاصة من يتولى أمر التوجيه والتعليم والتربية إلى ردّ الاعتبار إلى لغة دينهم، وذلك بإحيائها في الأوساط، وتربية الجيل والنشء عليها، واستعمالها، واستبدال الأجنبي بها، وإلا صارت إلى النسيان والإهمال، والانقراض والإغفال، فكم وكم من الكلمات صارت اليوم إلى سلة المهملات، وإن ذكرت فهي من الغريب الشارد الذي لا يفهم، وكم من المستورد الدخيل حل مكان الكلام الأصيل.

اللغة العربية شعار الإسلام

إن اللغة العربية هي شعار أهل الإسلام، ولا يعقل أن يفهم الإسلام إلا بها، فهي واجبة التعلم، إذ هي مما لا يتم الواجب إلا به، وكان السلف يعلمون أبناءهم اللغة العربية ويضربونهم على اللحن (أي الخطأ). وبذلك تعلم أن نهش هذا الجدار ونقض بنيانه محاولة لنقض الدين وهدمه، فمَن يُنكر اهتمامنا بالعربية كمن ينكر علينا كوننا مسلمين، وإنه لمن الدياثة أن ترى لغتنا تنتهك وتهمش وتستبدل بما دونها، بينما ترفع الألوية والأعلام لغيرها، وتعقد لها المؤتمرات، وتقرر في المعاهد والكليات.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: زكان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية عوَّدوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما.

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب أن هذا مكروه.

وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار الإسلام وأهله ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب عليه .

واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.

وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما): أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي.(وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال): (تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم)وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله" اقتضاء الصراط المستقيم(206/1-207). وقال في موطن آخر: "ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية وكان السلف يؤدِّبون أولادهم على اللحن فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا.. وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها ولكن سوغوها للحاجة وكرهوها لغير الحاجة ولحفظ شعائر الإسلام فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام، فكيف بمن تقدم على الكلام العربي مفرده ومنظومه فيغيره ويبدله ويخرجه عن قانونه ويكلف الانتقال عنهس مجموع الفتاوى(255/32).

وليت شعري ما سيقول شيخ الإسلام لو رأى ما تعرضت له اللغة العربية من هجر وإبعاد، وغربة واحتقار، وعقوق شديد من أبنائها والمنتمين إليها، وأصبحت تزاحَمُ وهي بين أبنائها بالدخيل من الألسن واللغات، في المجامع والمحافل، والمؤسسات والمعاهد. وهذا تعدّ ظاهر، وحكم جائر. ويعجبني كثيرا ما كتبه الشاعر الأديب حافظ إبراهيم حينما نظم قصيدة في شكوى اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أعجز عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عزَّ الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنيني بغير أناة
وأسمع للكتاب في مصر ضجة
فأعلم أن النائحين نعاتي
أيهجرني قومي عفا الله عنهم
إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الإعجام فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

وكثيرا ما لفت انتباهي، وهز خاطري، وجال في فكري فحاربني، فاندمل على إثره في قلبي كمد، وفي ذهني تشويش ودنف ومرض، ما رأيت -ولا أزال أرى- حينما أركب في الحافلة أو القطار أو حينما أمشي في الشارع، فتخلص إلى سمعي كلمات أو جمل أعجمية غربية، تريني في الركاب أو في هؤلاء المارة، فأستفهم وأقول في نفسي: هل عاد الغزو من جديد؟ أم بُدل الناس غير الناس؟

وختاما أقول: إنه متى تحقق انتشار اللسان العربي بدرجة أكبر في الأمة الإسلامية كان من أعظم العناصر وآكد الدعائم التي تحيا بها الوحدة الإسلامية وتزدهر، وتتذلل في سبيلها كثير من العقبات والعراقيل التي منيت بها الأمة الإسلامية.

هذا، ومعاذ الله أن نكتب من زاوية قومية، أو نتحدث بلوثة عصبية، ولكن الحقيقة التي قد تغيب عن بعض الأذهان هي أن هذا الدين لا يفهم حق الفهم، ولا تستوعب مراميه القريبة والبعيدة، ولا يحاط بقواعده الكلية وتفصيلاته الجزئية إلا عن طريق اللغة العربية.

العدد 06 . 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

المثل القرآني وصناعة الدعاة

بقلم
الأستاذ يحيى بن محمد المدغري

الدعاة في أمَسِّ الحاجة إلى تقوية صلتهم بالله تعالى وذلك بتنقية عقائدهم وصقلها بعرضها على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فإن أئمة الهدى والنور من سلف هذه الأمة ما دانت على أيديهم الدنيا -لكبرياء الله ولعظمته، حتى فتحوا البلاد بالعلم والرحمة، والقلوب بالفقه والمعرفة-، إلا عندما تأسوا عقيدة ودعوة ومنهجا بإمام الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك تجدهم يدعون وهم صامتون ويؤثرون وهم يعملون ويوجهون

أهمية دور الدعاة:

الدعاة إلى الله هم ورثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مهمته الإرشادية، وعليهم القيام بتبليغ الدعوة على الصورة الشرعية الواجبة، ولذلك فهم طَبَقة تميزت بحب التضحية والبذل والصبر والاحتساب، ودورهم ريادة الناس نحو الهدى والرشاد، وأملهم أن يبلغ الحق محله لا تمنعهم عقبة، ولا يقف في طريقهم سدّ، ولا يعجزهم انصراف المال والجاه عنهم, أسوتهم في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله تعالى للناس "شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرا" الأحزاب46، وقال له: "إنما أنت منذر" الرعد 8.وفي نفس الوقت قال عن الدعاة: "ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم " التوبة 122، فدل ذلك على أن الدعاة قائمون مقام النبي لأن الإنذار في الآيتين عمل مشترك يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده يقوم به الدعاة على المنهج الذي اتبعه النبي الأكرم وسلكه مع الناس، ولئن كانت مهمة الدعوة صعبة في زمنه عليه الصلاة والسلام فإنها في الزمن الحاضر كذلك، لأن الهدف هو مخاطبة القلوب، ومناجاة العواطف, واستثارة الهمم الجادة، وإبعاد النفوس عن الشهوات والدنايا، وقد زادت الصعوبة أمام الدعاة في العصر الحاضر الذي تسلح فيه العناد بالداهنة، وتوارى التعصب تحت مسميات براقة خادعة، وتألفت لجان وجمعيات لها ميزانياتها الضخمة لمحاربة الإسلام ودعاته وإلباس الجهل والجدل لباس العلم والسياسة والتعاون.

الدعاة والعصر:

ومن هنا فرضت الضرورة أن يكون الدعاة على مستوى عصرهم، وعلى قدر ما يجابههم من التحديات والقاعدة الجبرية تقول: لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار مضاد له في الاتجاه، فمقابلة المدفع بحجر لا يجدي، وعقد مناظرة بين أمّيٍّ ساذج وفيلسوف ملحد مضيعة، وتسليم مهمة الدعوة إلى غير الأكفاء تفريط مهين في تبليغ دين الله لا يجوز أبدا.

صناعة الدعاة:

إن صناعة الدعاة من أهم وأخطر الصناعات في الأمة الإسلامية، ولو صدقت النوايا وصدق العمل في هذا المجال لازدهرت نفوس أفراد هذه الأمة، وهبت من كبوتها وعادت للمسلمين مكانتهم في قيادة البشرية وإنقاذها من براثن المادة وأسر الشهوات، فإن البشرية جمعاء قد خسرت أعظم خسران بسقوط أمتنا وهبوطها, ولكي ترفع هذه الأمة وتستعيد منبر ريادتها ومحراب إمامتها لا بد من العمل على إيجاد الدعاة الذين ينطلقون بهذه الدعوة، يعطونها عملهم وراحتهم ويهبونها ظاهرهم وباطنهم، ويعيشون الصورة النبوية التي نطق بها قول الله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحيايْ ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام 165.

إن هؤلاء الدعاة هم الأمل -بعد الله- المرتجى للإسلام في هذا العصر.

إنهم بوادر الفجر بعد ليل طالت ظلمته....!

وهم قوافل العلم بعد جهل اتسع مداه....!

وهم قوة الخير والهدى وسط مدلهمات الضلال.....!

إنهم الأمل ولهم يجب العمل لإيجادهم وقد ملكوا الصفات التي تمكنهم من أداء رسالتهم.

أهم صفات الدعاة:

إن الشخصية الكاملة يبدأ كمالها من ذاتها، وبعد ذلك تفضي بالكمال على غيرها، فإن لم تكتمل الشخصية لا تقدر على العطاء، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وهل يستقيم الظل والعود أعوج؟

ولذلك كان الدعاة في أمَسِّ الحاجة إلى تقوية صلتهم بالله تعالى وذلك بتنقية عقائدهم وصقلها بعرضها على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فإن أئمة الهدى والنور من سلف هذه الأمة ما دانت على أيديهم الدنيا -لكبرياء الله ولعظمته، حتى فتحوا البلاد بالعلم والرحمة، والقلوب بالفقه والمعرفة-، إلا عندما تأسوا عقيدة ودعوة ومنهجا بإمام الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك تجدهم يدعون وهم صامتون ويؤثرون وهم يعملون، ويوجهون وهم ينصحون ويرشدون، ومن المعلوم علميا أن الثقة بين الموجِّه والجمهور عامل قويّ في تحقيق فائدة التوجيه، وإيمان الدعاة القوي وعقيدتهم الراسخة خير محقق لهذه الثقة.

المثل القرآني يدعو إلى عدم التناقض في السلوك حتى لا تنهار القوى، وتبدد الأعمال فتضيع سدى، يقول تعالى: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) النحل 92. ففي هذا المثل صورة امرأة متناقضة لا عزم لها ولا منهج لها، لأنها تغزل ثم تفك غزلها وتعيده إلى حالته الأولى وبذلك تضيع عملها، وتظهر للناس حقيرة مسترذلة.

ومن رحمة الله بالناس أنه جعل من الوحي -قرآنا وسنة- مددا مستمرا يساهم في صناعة الدعاة على الوجه الذي يحقق تبليغ الدعوة على الصورة المطلوبة شرعا، وللمثل القرءاني دور رئيس في هذا.

دور المثل في صناعة الدعاة :

يساهم المثل القرآني في تكوين الدعاة وتنشئتهم بصورة متعددة، فهو :

أولا: يدعو إلى اتباع المنهج الإلهي الموحد في التكوين، لأن التربية على منهج غير رباني فيها التناقض وعدم الاستقرار، وتؤدي إلى تذبذب الشخصية وعدم ثباتها، أما المنهج الإلهي فهو شامل متكامل يحقق الثبات ووحدة السلوك ومكارم الأخلاق، ينادي المثل القرءاني بذلك حيث يقول الله تعالى: (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)، الزمر 28.

ففي هذا المثل تصوير لرجلين من عباد الله تعالى أحدهما يعيش بين مناهج الناس وهي كثيرة وليست سواء، وشأنه شأن عبد رقيق مملوك لعدد من الشركاء المتخاصمين، المتنازعين المتدابرين، إنه موزع بينهم، ولكل منهم توجيه، ولكل منهم عليه تكليف، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتشاكسة التي تمزق قواه واتجاهاته، وشأن الرجل الثاني الذي يتبع منهج الله شأن عبد يملكه سيِّد واحد، يعلم نوازعه ورغباته، محيط بطاقاته وقواه، محب له، راغب في استمرار حياته واعتدال صحته، ولذلك فهو عبد مستريح مستقر على منهج واحد صريح، ويسأل الله تعالى: هل يستويان مثلا؟

إن العبدين لا يستويان أبدا -بالضرورة- ومن هنا وجب أن ينشأ الناس جميعا ومن يراد توجيهه للدعوة على الخصوص على المنهج الإلهي الذي سار عليه نبينا عليه الصلاة والسلام في دعوته ومن بعده صحابته الأطهار لأن من شأن هذا المنهج أن يربي قلب الإنسان على الإيمان الصادق والعقيدة الراسخة فيبقى معلقا بنجم واحد في الأفق فلا يلتوي به الطريق ولا تتشعب به السبل.

ثانيا: المثل القرآني يدعو إلى عدم التناقض في السلوك حتى لا تنهار القوى، وتبدد الأعمال فتضيع سدى، يقول تعالى: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) النحل 92.

ففي هذا المثل صورة امرأة متناقضة لا عزم لها ولا منهج لها، لأنها تغزل ثم تفك غزلها وتعيده إلى حالته الأولى وبذلك تضيع عملها، وتظهر للناس حقيرة مسترذلة، ومن هنا وجب على الدعاة الابتعاد عن مثل صنيع هذه المرأة فلا يقولون بقول ويعملون بغيره، ولا يظهرون بمظهر على غير منهج الله أبدا.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد دلت تجارب هذا العصر على مدى خطورة تناقض أدوات التوجيه في إفساد النشء، إن التناقض في التوجيه يضعف ما هو خير ويقوي الشر والضلال، وعل سبيل المثال نسأل: أين آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمضمن في الآيات القرآنية التي تفتح وتختم بها الإذاعة والتلفزة إرسالها؟.... وهل يفيد أن ترد الموعظة مسبوقة وملحوقة بأغنية خليعة أو رقصة ماجنة؟... وماذا لو جاء النصح قبل فيلم غريزي أو بعده ؟... إن ذلك لا يحقق شيئا في التربية لأن الشر أيسر مسلكا، والشياطين من الإنس والجن تؤيده، بينما الخير تكليف، وبه يتحقق الامتحان الإلهي للناس، ومجمل القول في هذا المثل أن التناقض في التوجيه والتربية أمر خطير يؤدي إلى الفوضى والضياع.

نصائح للدعاة:

إن على من وُكل إليهم أمر الدعوة أن يكونوا خير جند لرسالتهم استعدادا وبذلا، فهم أصحاب أعدل القضايا، وعليهم أن يلجئوا إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف 108.

إن الدعاة إلى الله أصحاب رسالة وبإخلاصهم لها تتحقق الخيرية لهذه الأمة، إن النور واضح والحق ظاهر، والطريق معروف بما فيه من مشاق وآلام تهون أمام الدعاة الموقنين الصادقين.

إن الأمل كبير..... والله الموفق.

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

أهـداف العولـمة وآثـارها الاقتصاديـة

الحلقة الرابعة

تطرقنا في الحلقة الثالثة إلى الحديث عن بعض أهداف وآثار العولمة وتعرضنا بالتفصيل إلى بيان أهدافها وآثارها الاقتصادية، وفي هذه الحلقة سنعرض لأهدافها وآثارها السياسية والثقافية.

أولا: الأهداف والآثار السياسية

1- فرض السيطرة السياسية الغربية على الأنظمة الحاكمة والشعوب التابعة لها، والتحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم، لخدمة المصالح الأمريكية، والقوى الصهيونية المتحكمة في السياسة الأمريكية نفسها، على حساب مصالح الشعوب وثرواتها الوطنية والقومية وثقافتها ومعتقداتها الدينية. يقول جون بوتنغ رئيس المدراء التنفيذيين السابق في بنك بنسلفانيا **"في العولمة نحن نقرر من الذي سيعيش ونحن نقرر من الذي سيموت".**

إن العولمة الأمريكية الصهيونية تخطط للتدخل العسكري وإعلان الحرب في أية بقعة من العالم تفكر بالخروج على سيطرتها وتحكمها، لأن العالم يراد له أن يقع تحت براثن الاستبداد الأمريكي والقانون الأمريكي والقوة العسكرية الأمريكية، وهو أمر يكشفه تقريران خطيران كانا سريين للغاية، ثم نشرا بعد ذلك، وهما تقريرا "جريميا ولفوفتيز"، ولا شك في أن نصيب العالم الإسلامي- في أفغانستان، وفلسطين والعراق- قد كان كبيراً في ضوء تلك السياسة الأمريكية الظالمة، يقول صموئيل هنتنغتون في دراسته المسماة "المصالح الأمريكية ومتغيرات الأمن"، التي نشرتها "مجلة الشؤون الخارجية" في حزيران 1993م: **"إن الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بحاجة ماسّة إلى عدو جديد يوحد دوله وشعوبه، وإن الحرب لن تتوقف، حتى لو سكت السلاح وأبرمت المعاهدات، ذلك أن حرباً حضارية قادمة ستستمر بين المعسكر الغربي الذي تتزعمه أمريكا وطرف آخر، قد يكون عالم الإسلام أو الصين".**

2- إضعاف فاعلية المنظمات والتجمعات السياسية الإقليمية والدولية والعمل على تغييبها الكامل كقوى مؤثرة في الساحة العالمية والإقليمية ومن ذلك: منظمة الدول الأمريكية، ومنظمة الوحدة الأفريقية، والجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والمتابع لنشاطات هذه المنظمات يلاحظ أنها لا تستطيع اتخاذ أي موقف تجاه القضايا السياسية المعاصرة وتجاه الأحداث الجارية مثل قضايا: فلسطين، والبوسنة والهرسك، وكشمير وألبان كوسوفو، والشيشان، والعراق.

جاء في خطاب الرئيس الأمريكي "جورج بوش"-الابن- عن حال الاتحاد اليهودي المسيحي في 29 يناير عام 2002م: "نعتبر جميع المنظمات الدولية التي تعارض أيّ هدف يتعلق بالمصلحة الوطنية الأمريكية الإسرائيلية (غير ذي صلة) ويشمل هذا منظمات: كالأمم المتحدة، والاتحاد الأفريقي، والجامعة العربية، التي يجب في اعتقادي أن يتم حلها فوراً، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، والفاتيكان، وجميع المنظمات الإسلامية".

3- إبقاء الدول الإسلامية -خاصة- منقوصة السيادة، حتى تبقى هذه الدول ضعيفة وتابعة للهيمنة السياسية الغربية.

4- إضعاف سلطة الدولة الوطنية، أو إلغاء دورها وتقليل فاعليتها، وقتل روح الانتماء في نفوس أبنائها، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والوطن والأمة، واستبدال ذلك بالإنسانية، إنها نظام يفتح الحدود أمام الشبكات الإعلامية، والشركات المتعددة الجنسيات ويزيل الحواجز التي تقف حائلاً دون الثقافة الرأسمالية المادية والغزو الفكري، الذي يستهدف تفتيت وحدة الأمة، وإثارة النعرات الطائفية، وإثارة الحروب والفتن داخل الدولة الواحدة كما في السودان.

يقول "ريتشارد كاردز" المستشار السابق لوزارة الخارجية الأمريكية: "إنّ تجاوز السيادة الوطنية للدول قطعة قطعة يوصلنا إلى النظام العالمي بصورة أسرع من الهجوم التقليدي".

5- إن العولمة لا تكتفي بواقع التجزئة العربية والإسلامية الآن، بل تحاول إحداث تجزئة داخلية في كل بلد عربي أو إسلامي، حتى ينشغلوا بأنفسهم وينسوا تماماً أنهم أمة عربية واحدة، ينتمون إلى جامعة إسلامية واحدة، وهذا معناه بَعْثَرَةُ الشعوب المسلمة وتفرقها، والقضاء على مقومات الوحدة والتضامن الإسلامي، وتفريغ المنظمات والتجمعات الإسلامية من مضامينها الحقيقية حتى تبقى عاجزة عن تحقيق آمال وأماني المسلمين ولتصبح أداة طيعة في خدمة المخططات الاستعمارية الغربية.

إذاً المشروع السياسي للنظام العالمي الجديد الذي انتهت إليه العولمة هو: تفتيت الوحدات والتكوينات السياسية-الدول- إلى تجمعات ودويلات صغرى ضعيفة ومهزوزة، ومبتلاة بالكوارث والمجاعات والصراعات الداخلية، والفتن.

ثانيا: الأهداف والآثار الثقافية

تقوم العولمة في الجانب الثقافي على انتشار المعلومات، وسهولة حركتها، وزيادة معدلات التشابه بين الجماعات



والمجتمعات، أي تقوم على إيجاد ثقافة عالمية، وعولمة الاتصالات، عن طريق البث التليفزيوني عبر الأقمار الصناعية، وبصورة أكثر عمقا خلال شبكة الإنترنت التي تربط البشر بكل أنحاء المعمورة. كما تعني العولمة الثقافية توحيد القيم وخاصة حول المرأة والأسرة، باختصار تركز العولمة الثقافية على مفهوم الشمولية ثقافة بلا حدود، وآلة ذلك الإعلان والتقنيات.

ولعلّ من أخطر أهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية فهي تتجاوز الحدود التي أقامتها الشعوب لتحمي كيان وجودها، وما له من خصائص تاريخية وقومية وسياسية ودينية، ولتحمي ثرواتها الطبيعية والبشرية وتراثها الفكري الثقافي، حتى تضمن لنفسها البقاء والاستمرار والقدرة على التنمية ومن ثمّ الحصول على دور مؤثر في المجتمع الدولي.

فالعولمة الثقافية تقوم على تسييد الثقافة الرأسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنها ترسم حدوداً أخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق والثقافة.

إنّ العولمة لا تكتفي بتسييد ثقافة ما، بل تنفي الثقافة من حيث المبدأ، وذلك لأنّ الثقافة التي يجري تسييدها تعبر عن عداء شديد لأي صورة من صور التميز، إن الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية، كأساس لتطوره، وكقيمة اجتماعية وأخلاقية وبهذا فإنّ ما تبقى يجب أن يسقط، وما تبقى هنا هو"ليست خصوصية قومية بل مفهوم الخصوصية نفسه، وليس تاريخا بعينه بل فكرة التاريخ، وليس هوية بعينها وإنما كل الهويات، وليس منظومة قيمية بل فكرة القيمة وليس نوعا بشريا، وإنّما فكرة الإنسان المطلق نفسه".

يقول العالم الأمريكي المعروف "ناعوم تشومسكي": "إنّ العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كله".

يقول "بلقيزر": "العولمة كما يدّعي روادها هي انتقال من مرحلة الثقافة الوطنية إلى ثقافة عليا جديدة "عالمية"، وهي في حقيقتها اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات الأخرى، وهي اختراق تقني يستخدم وسائل النقل والاتصال لهدر سيادة الثقافات الأخرى للشعوب، وفرض الثقافة الغربية".

ويقول د."عبد الفتاح أحمد الفاوي": "ليست العولمة انتقالاً من ظاهرة الثقافة الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية بل إنها فعل اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات خاصة ثقافتنا العربية والإسلامية".

ويقول "شتراوس هوب" في كتابه (توازن الغد): "إنّ المهمة الأساسية لأمريكا توحيد الكرة الأرضية تحت قيادتها، واستمرار هيمنة الثقافة الغربية، وهذه المهمة التي لا بد من إنجازها بسرعة في مواجهة نمور آسيا وأيّ قوى أخرى لا تنتمي للحضارة الغربية".

إذاً من الأهداف الثقافية للعولمة: **الترويج لفلسفة النظام الغربي الرأسمالي النفعي البرجماتي**، وفرض الثقافة الغربية الوافدة وجعلها في محل الصدارة والهيمنة في العالم وقهر الهوية الثقافية للأمم والشعوب الأخرى، على أن تظل الثقافات الأخرى محدودة في نطاق السلوك الفردي لا تتعداه، **فالدساتير والنظم والقوانين والقيم الأخلاقية يجب أن تستمد من الفلسفة المادية النفعية، ومن ثقافة الرجل الأبيض العلمانية، المناهضة للعقائد والشرائع السماوية.**

يقول المفكر الإسلامي الألماني الدكتور "مراد هوفمان": العولمة تتبنى الوسائل المريبة الزاحفة لتمزيق الأمة الإسلامية، والطغيان على قيمها السامية بالعمل على شيوع القيم المتدنية التي تصاحب بالغزو الفكري، والاستهلاكي مثل:طغيان الاستهلاك والنهم المادي وشيوع العنف والجنس، والمادية، والفردية، والافتتان بالثروة والسعي إليها بأي سبيل والتخلي عن القيم.

ويقول الباحث د.محمد أمحزون: "ومن المؤكد أن المستهدف بهذا الغزو الثقافي هم المسلمون، وذلك لما يلي:

أ- ما تملكه بلادهم من مواد أوّلية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى.

ب- ما ثبت لهم عبر مراكزهم وبحوثهم وجامعاتهم ومستشرقيهم من أنّ هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية ومن ثَمَّ فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة".

جـ- الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهو من أهم أهداف العولمة في بلاد العرب والمسلمين.

د- الحضارة الإسلامية بعقيدتها وشريعتها ونظام أخلاقها وإنجازاتها التاريخية هي النقيض الوحيد الشامل لفلسفة العولمة ودينها وأنظمتها وقيمها الهابطة في هذه الدنيا التي نعيش فيها.

إنّ عملاء الغرب في العالم الإسلامي الذين يروجون العولمة يحاولون جادين تعميم الفلسفة المادية والفكر الغربي العلماني ليصبح العالم الإسلامي جزءاً من المنظومة العلمانية العالمية التي تتميّز بخصائص معينة وتظهر بثقافة واحدة، تتجاوز الفكر الإسلامي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية. "وإذا كان العالم الإسلامي يوجد تحت تأثير ظاهرة العولمة الثقافية، بالنظر إلى أوضاعه الاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية والثقافية والعلمية، والإعلامية التي هي دون ما نطمح إليه، فكيف يتسنى له أن يواجه مخاطر هذه العولمة ويقاوم تأثيراتها ويتغلب على ضغوطها؟

إنّ الواقع الذي تعيشه بلدان العالم الإسلامي يوفّر الفرص المواتية أمام تغلغل التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية، لأن مقوّمات المناعة ضد سلبيات العولمة، ليست بالدرجة الكافية التي تقي الجسمَ الإسلاميَّ من الآفات المهلكة التي تتسبَّب فيها هذه الظاهرة العالمية المكتسحة للمواقع والمحطِّمة للحواجز".

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

هداية الحيارى إلى حكم الاحتفال بعيد النصارى

رشيد مومن الإدريسي

مقدمة:

من المقرر شرعا أنه لا يجوز للمسلمين التشبه بالكافرين، سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو غير ذلك مما هو خاص بهم.

وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة خرج عنها اليوم-مع الأسف- كثير من المسلمين، جهلا بدينهم، أو اتباعا لأهوائهم، أو انجرافا مع عادات العصر الحاضر وتقاليد الغرب.

فالإسلام جاء هدى ورحمة ونورا، فشرع الله به للناس كل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم، ودعاهم إلى الاعتصام به والاعتزاز، فحذرهم من طاعة الكفار والتشبه بهم، وبيّن أن مآل من يطيعهم الخسران، ومآل من يخالفهم الاهتداء إلى صراط الرحمن.

1- دلالة الكتاب والسنة والاجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن التشبه بهم

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} البقرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعَانُون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص... والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا". تفسير ابن كثير.

أما السنة ففي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من تشبه بقوم فهو منهم " صحيح الجامع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وبكل حال: فهو يقتضي(أي الحديث) تحريم التشبه بهم بعلة كونه تشبها" اهـ"الاقتضاء".

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: (وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : "من تشبه بقوم فهو منهم" ،... فقيل: من تشبه بهم في أفعالهم، وقيل من تشبه بهم في هيئاتهم) التمهيد.

وقال المناوي رحمه الله: "(من تشبه بقوم) أي: تزيا في ظاهره بزيهم وفي فعله بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم أي: وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر والباطن" اهـ فيض القدير.

أما الإجماع فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم شيخ الإسلام رحمه الله في الاقتضاء، حيث قال لما ذكر الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم التي جعلها عمر رضي الله عنه: "وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا وترك التشبه بهم" اهـ.

2- تنبّؤ النبي الأمين عليه الصلاة والسلام بما سيحصل من التشبه بالكافرين.

تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بما نحن عليه الآن من التقليد الأعمى للغربيين والتشبه بالكافرين، فقال من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" متفق عليه.

قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث: "السَّنَنُ بفتح السين والنون وهوالطريق والمراد بالشبر الذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد بالموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام".

3- حكم الاحتفال بعيد النصارى

مع ما ذكرنا من البيان السديد فإن طائفة من المسلمين تأبى إلا أن تقلد الكافرين في كثير من السلوكيات، ومن أبرزها وأظهرها التشبه بهم في أعيادهم، فنجد كثيرا من أبناء الإسلام قلدوا وشابهوا الغرب في ذلك، وتناسوا أن ذلك يقدح في دينهم ويثلم شخصيتهم، وأنه دلالة صارخة على مدى التردي الذي وصلوا إليه، فضاعت شخصيتهم المسلمة وانطمست هويتهم فذابوا بحيث لا تظهر لهم مزية على غيرهم فصاروا تبعا لكل ناعق.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً} الفرقان.

قال القرطبي المالكي رحمه الله: ".... والزور كل باطل زور وزخرف، وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن عباس وفي رواية عن ابن عباس أنه: أعياد المشركين..."اهـ الجامع لأحكام القرآن.

وجاء تفسير الزور بأعياد المشركين عن مجاهد والضحاك والربيع بن أنس رحمهم الله كما في "الجامع" لأبي بكر الخلال رحمه الله، و"شروط أهل الذمة" لأبي الشيخ رحمه الله، قاله شيخ الإسلام رحمه الله في الاقتضاء.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا هذا اليوم" رواه البخاري ومسلم.

قال الذهبي رحمه الله معلقا على الحديث: "فهذا القول منه عليه الصلاة والسلام يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم كما قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).

فإذا كان للنصارى عيد، ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم، كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا في قبلتهم.

ومن المعلوم أن في شروط عمر رضي الله عنه أن أهل الذمة لا يظهرون أعيادهم.

واتفق المسلمون على ذلك، فكيف يسوغ لمسلم إظهار شعارهم "اهـ. "تشبيه الخسيس بأهل الخميس " للذهبي رحمه الله.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: "من صنع نيروزهم (عيدهم) ومهرجانهم، وتشبه بهم، حتى يموت وهو كذلك ولم يتب حشر معهم يوم القيامة".

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وصحح إسناده ابن تيمية رحمه الله في الاقتضاء.

قال الذهبي رحمه الله معلقا على هذا الأثر: "وهذا القول منه يقتضي أن فعل ذلك من الكبائر، وفعل اليسير من ذلك يجر إلى الكثير.

فينبغي للمسلم أن يسد هذا الباب أصلا ورأسا، وينفر أهله وصغاره من فعله فإن الخير عادة، وتجنب البدع عبادة. "تشبيه الخسيس بأهل الخميس " للذهبي رحمه الله.

وقال الذهبي -رحمه الله- في المرجع نفسه:

"قال العلماء: ومن موالاتهم التشبه بهم وإظهار أعيادهم، وهم مأمورون بإخفائها في بلاد المسلمين، فإذا فعلها المسلم معهم، فقد أعانهم على إظهارها.

وهذا منكر وبدعة في دين الإسلام، ولايفعل ذلك إلاكل قليل الدين و الإيمان"اهـ.

4- أقوال السادة المالكية في إقامة الأعياد الغربية

"سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي تركب فيها النصارى إلى أعيادهم فكره (كراهة تحريم) ذلك مخافة نزول السخط عليهم بشركهم الذي اجتمعوا عليه، وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني شيئا في عيدهم مكافأة له ورآه من تعظيم عيدهم وعونا لهم على كفرهم .. وهو قول مالك وغيره لم أعلمه اختلف فيه" اهـ الاقتضاء لابن تيمية رحمه الله.

"وسئل أبو الأصبغ عيسى بن محمد التميلي عن ليلة يناير التي يسمونها الناس الميلاد ويجتهدون لها في الاستعداد، ويجعلونها كأحد الأعياد، ويتهادون بينهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف والطرف المثوبة لوجه الصلة، ويترك الرجال والنساء أعمالهم صبيحتها تعظيما لليوم، ويعدونه رأس السنة أترى ذلك أكرمك الله بدعة محرمة لا يحل لمسلم أن يفعل ذلك،ولا أن يجيب أحد من أقاربه وأصهاره إلى شيء من ذلك الطعام الذي أعده لها؟ أم هو مكروه ليس بالحرام الصراح؟ أم مستقل؟ وقد جاءت أحاديث مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتشبهين من أمته بالنصارى في نيروزهم ومهرجانهم، وأنهم محشورون معهم يوم القيامة.

وجاء عنه أيضا أنه قال :(من تشبه بقوم فهو منهم) فبيّن لنا أكرمك الله ما صح عندك في ذلك إن شاء الله.

فأجاب: قرأت كتابك هذا ووقفت على ما عنه سألت وكل ما ذكرته في كتابك فمحرم فعله عند أهل العلم، وقد رويت الأحاديث التي ذكرتها من التشديد في ذلك ورويت أيضا أن يحيى بن يحيى الليثي قال: لا تجوز الهدايا في الميلاد من نصراني ولا من مسلم، ولا إجابة الدعوة فيه ولا استعداد له، وينبغي أن يجعل كسائر الأيام... قال يحيى وسألت عن ذلك ابن كنانة وأخبرته بحالنا في بلدنا فأنكر وقال: الذي يثبت عندنا في ذلك الكراهية (كراهة تحريم) وكذلك سمعت مالكا... قال يحيى بن يحيى: ومن رضي عملا كان شريك من عمله، هذا فيمن رضي ولم يعمله فكيف من عمله وسَنَّهُ سُنة. والله نسأله التوفيق."المعيار المعرب" للونشريسي-رحمه الله-.

واعتبر العلامة ابن الحاج رحمه الله تعالى أن ما يقع في هذا الاحتفال البدعي من تشويه صورة بعض الأشخاص باللباس والأصباغ واللحى الاصطناعية يدخل في تغيير خلق الله تعالى الذي ورد لعن فاعله في القرآن والسنة. انظر المدخل 522.

وختاما:

نورد توجيه مؤرخ الإسلام العلامة المربي الإمام الذهبي رحمه الله تعالى حيث قال: "فإن قال قائل: إنا لا نقصد التشبه بهم؟ فيقال له: نفس الموافقة والمشاركة لهم في أعيادهم ومواسمهم حرام، بدليل ما ثبت في الحديث الصحيح عن رسول -صلى الله عليه وسلم- أنه "نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها"، وقال: "إنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار"، والمصلي لا يقصد ذلك، إذ لو قصده كفر، لكن نفس الموافقة والمشاركة لهم في ذلك حرام.

وفي مشاركتهم من المفاسد أيضا:

أن أولاد المسلمين ينشؤوا على حب هذه الأعياد الكفرية، لِما يصنع لهم فيها من الراحات والكسوة والأطعمة، وخبز الأقراص وغير ذلك، فبئس المربّي أنت أيها المسلم إذا لم تنه أهلك و أولادك عن ذلك، وتعرفهم أن ذلك عند النصارى، لايحل لنا أن نشاركهم ونشابهم فيها.. فينبغي لكل مسلم أن يجتنب أعيادهم، ويصون نفسه و حريمه، و أولاده عن ذلك، إن كان يؤمن بالله واليوم اللآخر."اهـ" تشبيه الخسيس" الذهبي .

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

التطرف بين الثقافة والسياسة عند الآخر
الأصولية المسيحية نموذجا

قاسم العلوش
باحث في العلوم السياسية

التحالف مع الصهيونية العالمية
(الحلقة الرابعة)

لمدة 150 عاما كان المسيحيون (في الدرجة الأولى في بريطانيا وكذاك في مناطق أخرى من أوروبا، وبعد ذلك في أمريكا) المدافعين الوحيدين عن الصهيونية، فقد عمل البروتستانتيون منفردين في إصرارهم على أن فلسطين تخص اليهود، وعلى حث كل اليهود للتوجه إلى هناك والعيش منفصلين عن العامة (جنتيل).

ولمدة قرن ونصف القرن، فإن المسيحيين (قادة الحركة الاستعمارية الغربية) لم يحصلوا على دعم من اليهود في حركتهم الصهيونية غير اليهودية.

إن المسيحيين الذين كانوا يتصدرون هذه الحركة، كانوا بدون استثناء، من البروتستانت المداومين على زيارة الكنائس، ويمكن تفسير عبارة المسيحيين الصهاينة بأنها: صهيونية ذات دوافع توراتية لاهوتية، وفي هذا الإطار تقول (روجينا شريف) في كتابها الصهيونية غير اليهودية: (بالإضافة إلى عامل النفوس فإن للمسيحيين الصهاينة أسبابا سياسية)، على هذا يمكن تفسير الدعم اللامشروط لهم للأهداف الصهيونية.

3- اعترافات زعماء الصهيونية بالدور المسيحي الأصولي

بصرف النظر عن أسباب تأييد الحركة الإصلاحية البروتستانتية فكرة "إنكلترا وأوروبا متحررتين من كل اليهود" في بداية ظهورها، فإن العديد من الصهيونيين اليوم يقولون: إنهم مسرورون لتصرف المسيحيين بهذه الحرارة، إنهم ينسبون الفضل إلى المسيحية الصهيونية في مساعدة الصهيونية اليهودية الحديثة لتحقيق أهدافها، خلق دولة يهودية حيث لا يرحب بغير اليهود مواطنين فيها.

في السادس من فبراير 1985م، ألقى سفير "الكيان الصهيوني" لدى الأمم المتحدة "بنيامين نتن ياهو" خطابا أمام المسيحيين الصهاينة قال فيه: "..لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ 2000 سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين".

إن كتابا ورجال دين وصحافيين وفنانين ورجال سياسة، إنكليز وأمريكان، أصبحوا محركين لعملية تسهيل عودة اليهود إلى وطنهم المهجور.

على سبيل المثال، كان هناك زاللورد ليندسيس الذي كتب في عام 1840م يقول: "إن العرق اليهودي الذي احتفظ به بصورة مدهشة، يمكن أن تكون له مرحلة ثانية من الوجود الوطني، ويمكن أن يحصل مرة ثانية على أرضه الوطنية"، وكان هناك "جورج كروالر" الذي حث في عام 1845م على إعادة إحياء حقول فلسطين ومزارعها بواسطة شعب حيوي تنغرز عواطفه الحارة بالأرض.

وأضاف "نتن ياهو": "إن المسيحية الصهيونية لم تكن مجرد تيار من الأفكار، إنها مخططات عملية وضعت فعلا من أجل عودة اليهود، ففي عام 1848م ساعد "وردر كريسون"، القنصل الأمريكي في القدس، على إقامة مستوطنة يهودية في (وادي رفيم) بدعم من جمعية مسيحية-يهودية مشتركة في إنكلترا، وتولى "كلود كوندر"، مساعد "اللورد كيتشنر"، إجراء مسح شامل عن فلسطين مؤكدا أن باستطاعة اليهود إعادة إصلاحها لتسترجع مجدها الغابر".

وأضاف "نتن ياهو" قائلا: "لقد قدم المسيحيون دعما طويلا متواصلا وناجحا للصهيونية، وهو دعم أعرب عن نفسه في الأدب الإنكليزي مثل رواية "جورج إليوت" عن الصهيونية والتي تدعى زدانيال ديروندا، والتي تنبأت بأن يقيم اليهود كيانا جديدا، يكون كيانا عظيما، بسيطا كالكيان القديم... لأنه ستكون هناك في بلاد الشرق تحمل ثقافة وعطف كل الأمم العظيمة، في قلبها".

وقال "نتن ياهو" كذلك: "المسيحيون ساعدوا على تحول الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية"، وأضاف: "تصوروا، مثالا على ذلك، القنصل الأمريكي في القدس "أدوين شارمن والس" الذي كتب في عام 1898م: "إن الأرض بالانتظار، والشعب على استعداد للمجيء، سيأتي فور أن تتأمن الحماية للحياة والممتلكات... يجب أن نقبل بذلك، وإلا فإن الرؤى التي تأكدت بإيجابية يجب أن تعتبر عديمة الجدوى... ومع ذلك، فإن الحركات الحالية بين اليهود في مناطق متعددة من العالم، تشير إلى إيمانهم بما تؤكده هذه الرؤى، إن عيونهم تتجه نحو الأرض التي كانت لهم، وإن قلوبهم تهفوا إلى اليوم الذي سيستطيعون أن يعيشوا في هذه الأرض كشعب بسلام".

"إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأمريكان، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل "لويد جورج " أو "أرثر بلفور" ، و"دور ويلسون"، في مطلع هذا القرن، إن "الكتاب المقدس" ذكر هؤلاء الرجال، إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دورا رئيسا في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية. "بنيامين نتن ياهو".

ويضيف "نتن ياهو" الذي أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء الكيان الصهيوني في فلسطين في نفس خطابه، مؤكدا على الدور الخطير الذي لعبته كتابات الأصوليين المسيحيين المتصهينين: "إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأمريكان، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل"لويد جورج" أو "أرثر بلفور"، و"دور ويلسون"، في مطلع هذا القرن، إن "الكتاب المقدس" ذكر هؤلاء الرجال، إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دورا رئيسا في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.

وهكذا فإن تأثير المسيحيين الصهاينة على السياسة الغربية هو الذي ساعد اليهودية الصهيونية الحديثة على تحقيق هدفها في إعادة ولادة الكيان الصهيوني.

إنه الشعور بالتاريخ إنه الشعور بالأخلاقيات الذي اتسم به المسيحيون الصهيونيون والذي كان حافزهم قبل قرن من الزمن للكتابة والتخطيط والتنظيم من أجل إحياء "إسرائيل".. وهكذا فإن الذين سيستغربون ما يعتقدون أنه صداقة حديثة بين "إسرائيل" ومؤيديها من المسيحيين يعكسون جهل الأمرين معا، إننا نعرف أفضل، نعرف الروابط الروحانية التي أدت دورها بشكل جيد لتحقيق الحلم الصهيوني".

4- اعتراف زعماء الصهيونية المسيحية بدعم الصهيونية العالمية

في هذا الإطار يقول الكاتب الأمريكي "مارك بروزونسكي" الاختصاصي في الكمبيوتر أحد الصهيونيين المسيحين وذلك بعد أن اكتشف زيف ادعاءات الحركة الصهيونية حول أحقيتها بامتلاك أرض فلسطين، وهو من مدينة واشنطن: "إن السياسة الصهيونية هي حلم ملطخ". وقبل أن ينفصل "بروزونسكيس عن الصهيونية، فقد عمل مع المنظمات الصهيونية اليهودية، وهو يقول: "إنني كسياسي ليبرالي كنت أنظر إلى الصهيونية بدرجة متفاوتة من الحماس، على أنها الترجمة اليهودية لتقرير المصير".

أما لماذا غير رأيه في الصهيونية؟ فهو يُجِيبُ قائلا:"ببساطة فقد تعلمت الكثير منذ بدأت القراءة، إن على اليهودي أن يعمل من أجل الصهيونية، ولكن ليس عليه أن يقرأ الكثير عنها. على اليهودي أن يتقبل تاريخ الصهيونية ولكن من دون أن يدرسها حقيقة". ويعرف الصهيونية فيقول: "البعض يعرف الصهيونية على أنها نهاية المنفى وتجمع كل اليهود مع كل العرب".

ويعرف الصهيونية على أنها: نوع من العنصرية الاستعمارية. ولقد صوتت وفود الأمم المتحدة على إدانة الصهيونية كنوع من أنواع العنصرية.

يقول جورج أورويل: "إن للصهيونية العادية للحركة الوطنية، غير ان الترجمة الأمريكية لها تبدو أشد عنفا وضررا من البريطانية". وقد وصف المؤرخ البريطاني (ارنولد توينبي) الصهيونية بأنها: "عبادة إله زائف"، إنها "ديانة وثنية".

ويوضح أكثر "بروزونسكي" الصهيونية فيقول: "إنني أعتبر الصهيونية بأنها حركة سياسية توسعية استعمارية، أدت إلى خلق إسرائيل، وأنا أعتبر الصهيوني بأنه الذي يوافق على أعمال إسرائيل بصرف النظر عن مدى خطورة أو خطأ هذه الأعمال".

وكي يبين مدى صهيونية الحركة المسيحية الأصولية يقول "بروزونسكي": "كان للصهيونية أن تنطلق لولا إرادة المسيحيين في أن يضعوا اليهود في (غيتو) يدعى دولة يهودية، موقوف على اليهود وحدهم، إن المأساة هي أنه بعد أن قاوم اليهود هذه الفكرة 200 سنة، عادوا وتبنوها.

كما حث المسيحيون الصهيونيون الأوائل يهودَ أوربا على التوجه إلى فلسطين لمصادرة كل ما يستطيعون مصادرته من الأرض، كذلك فإن المسيحيين الصهيونيين، أمثال "جيري فرويل"، يحثون اليهود على أن يذهبوا إلى ما يتعدى فلسطين، وأن يطالبوا بكل الأراضي العربية التي تمتد من نهر الفرات في الشرق حتى النيل في الغرب".

في السادس من فبراير 1983 صرح "فولويل" لصحيفة "كوريو تايمس –تلغرام"، في "تكساس" أنه يفضل أن يصادر الإسرائيليون أجزاء من العراق وسوريا وتركيا والعربية السعودية ومصر والسودان وكل لبنان والأردن والكويت.

وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين فهي كلّها تخص اليهود، وقال "فولويل" في هذه المقابلة: "بارك الله أمريكا لأننا تعاونا مع الله في حماية "إسرائيل" التي هي عزيزة عليه"...

يتبع

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

صحة . أسرة

سلامة الذبح في الطريقة الشرعية

بقلم الأستاذ: علي نجم

شاء الله تعالى أن تنحر الأضاحي في عيد الأضحى، والله سبحانه لا يشرع شيئا إلا ويكون لنا فيه خير، سواء علمنا الحكمة منه أم جهلناها، لكن بعض الحاقدين يصفون الإسلام بالوحشية نظرا للكم الهائل من الأضاحي التي تذبح في يوم العيد، ويتهمون المسلمين بالهمجية والاعتداء على حقوق الحيوان، ويظن هؤلاء الناقمون أن طرقهم في الإجهاز على الحيوان هي الأرحم به، في حين أن العلم أثبت أن الطريقة الإسلامية في الذبح أقل معاناة للحيوانات على خلاف ما يتصورونه، بل إنها أسلم من طريقتهم وأكثر حفاظا على صحة الإنسان.

طريقة الذبح الإسلامية تقي الجثة من العفن

إن الحيوانات التي تموت ضربا أو ترديا أو خنقا لا تفارق الحياة مباشرة بل تبقى مدة معينة، وقد أفادنا العلم الحديث أنه خلال هذه المدة يفقد جدار أمعائها الغليظة مقاومته مما يسمح بمرور الكائنات الضارة إلى الدم، ومن جهة أخرى فإن الأوعية الدموية تفقد هي الأخرى مقاومتها وتسمح بدورها بتسرب هذه الكائنات إلى لحم الحيوان الذي يصبح خزانا للميكروبات، أما إذا أصيب الحيوان بحادث من الحوادث السابقة وتم ذبحه في الحال، وكذلك إذا كان حيا ثم ذبح فإن عملية الذبح هذه تخلص جسمه من الدم، ومعلوم أن الدم مرتع مفضل للكائنات الدقيقة ومن تم فإننا عندما نذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية نتمكن من وقاية اللحم من التلوث والتعفن، وحماية المستهلك من الإصابة ببعض الأمراض الناتجة عن ذلك.

أما الطرق التي يقضى بها على الحيوان في بعض الدول الغربية مثل الصعق بالكهرباء أو القتل بالمسدس والتي يدّعون أنها أرحم بالحيوان، فإنها تعرض لحمه للتلوث وتهدد صحة المستهلك لأن الدم يبقى بداخل الحيوان ولا يتخلص منه كما تسمح بذلك طريقة الذبح الإسلامية، ولذلك فإن ديننا حرم أكل الحيوانات التي لم تذبح على الطريقة الإسلامية وقد جاء في قوله تعالى: {حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ}المائدة:3، ويقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره لقوله تعالى: (إلا ما ذكيتم):"... راجع لهذه المسائل من منخنقة وموقوذة ومتردية و نطيحة و أكيلة السبع إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتحقيق الذكاة فيها" اهـ، والذكاة في اللغة أصلها التمام وفي الشرع هي ذبح أو نحر مأكول مقدور عليه بقطع ما يجب قطعه أو عقره أو نحره.

لرفس

والتخبط الذي يحصل للحيوان بعد الذبح ليس ناتجا عن الألم وإنما مرده إلى أن الجهاز العصبي لا يزال حيا ما دمنا لم نقطع العنق، فالمخ يبدأ بإرسال إشارات إلى القلب طالبا تزويده بالدم فتقوم عضلات الذبيحة بالضغط والتقلص لإيصال الدم إلى القلب وهي حالة الرفس والتخبط التي نلاحظها، لكن هذا الدم يخرج إلى الخارج ولا يصل إلى المخ لأن الحيوان ذبح.

الحيوان لا يعاني من ألم الذبح بالشكل الذي نتصوره

يعرض بعض أعداء الإسلام صور الأضاحي في قنواتهم وهي ترفس بأرجلها وتتخبط في الدماء، ليشوّهوا الإسلام ويتهموا المسلمين بالوحشية، لكن والحمد لله هناك أصوات منصفة تنادي بالحق من عقر دارهم وتبين أن تلك المناظر لا تعني تألم الحيوان وإنما هي وسيلة فاشلة لإيصال الدم إلى المخ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور"هونفر لارسن" كبير أطباء المستشفى الرسمي في "كوبنهاجن" في حديث خص به مجلة الإعجاز العلمي: "إن مراكز الإحساس بالألم تتعطل إذا توقف ضخ الدم عنها لمدة ثلاث ثوان لأنها بحاجة إلى وجود الأكسجين في الدم باستمرار" وقد ضرب مثالا لشرح هذه الظاهرة بأن الضغط على مكان الذبح لأي شخص يؤدّي إلى الإغماء بعد لحظات.

وقال الدكتور بأن الرفس والتخبط الذي يحصل للحيوان بعد الذبح ليس ناتجا عن الألم وإنما مرده إلى أن الجهاز العصبي لا يزال حيا ما دمنا لم نقطع العنق، فالمخ يبدأ بإرسال إشارات إلى القلب طالبا تزويده بالدم فتقوم عضلات الذبيحة بالضغط والتقلص لإيصال الدم إلى القلب وهي حالة الرفس والتخبط التي نلاحظها، لكن هذا الدم يخرج إلى الخارج ولا يصل إلى المخ لأن الحيوان ذبح.

وبهذا يتبين لنا أن الطريقة الإسلامية في ذبح الأضاحي هي الأسلم والأصح، و نرد على شبه أعداء الله الذين يريدون أن يصطادوا في الماء العكر ويلطخون سمعة هذا الدين الحنيف، لكن والحمد لله فإن الله يسخر من بينهم أحيانا من يدحض دعاويهم ويرد أباطيلهم.

اِحذروا القارورات المعدنية "canette"

تناولت فتاة قارورة مشروبات من النوع المعدني "canette" نقلت على إثرها إلى مستشفى "ابن سينا" في اليوم الموالي لتخرج منه ميتة، وقد أظهرت نتيجة التشريح أن سبب الوفاة هو داء البريميات (جِنۡسُ جِراثيم مِنۡ رُتۡبَةِ المُلتوِيات) الذي تناولته الفتاة خلال الشرب من القارورة مباشرة، وقد أثبتت الاختبارات التي أجريت على القارورة، أنها ملوثة ببول الفئران الذي يحتوي على الجرثومة البريمية المسؤولة عن الوفاة. ويحتمل أن الفتاة لم تنظف الجزء العلوي من القارورة قبل تناول المشروب ، هذا الجزء الذي كان ملوثا ببول الفئران الجاف و الحامل للبريميات السامة والقاتلة.

وإن هذه القارورات كباقي الأغذية التي تحتاج إلى الحفظ قبل البيع، تخزن في محلات آهلة بالقوارض ومن بينها الفئران، ثم تنقل بعد ذلك لتوزع وتباع دون الخضوع لأية مراقبة أو تنظيف، والنتيجة هي مثل هذه الحوادث المفجعة التي يروح ضحيتها مستهلكون أبرياء. لذا فإنه يجب على المستهلكين غسل جزء القارورة الذي يشربون منه بمواد منظفة قادرة على قتل الجراثيم قبل تناول المشروب أو وضعه في الثلاجة .

بل والأظهر أنه يستحسن تفادي هذه القارورات، كما أبانت عن ذلك دراسة إسبانية حيث أقرت على أن مكان فتح هذه القارورات أنجس من المراحيض العمومية على حد تعبيرها، لأنها كشفت عن تجمع الجراثيم حول الجزء العلوي من القارورات وأكدت على ضرورة استعمال منظفات مطهرة .

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

احتفالات رأس السنة النصرانية ومخالفتها لدين الإسلام

إن مما ابتلي به كثير من المسلمين اليوم الجهل بدينهم حتى صار كثير منهم يرتكب أمورا يظنها من المباحات وهي من المحرمات، ومن هذه الأمور الاحتفال بأعياد الميلاد، وغيرها من الأعياد التي لا أصل لها في ديننا بل إن أصل تخصيصها هو من عند غير المسلمين.

قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} البقرة 120.

و قال الله تعالى حاكيا عن عباد الرحمن {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} الفرقان 72.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم 158 :

"وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة والباطل، ولا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة، فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورا، وحضورها: شهودها". اهـ

هذا وقد منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يُقام من أعياد المشركين.

في الصحيحين من حديث أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟! قال: فمَن ؟!".

قال شيخ الإسلام في الاقتضاء: "والمحذور في أعياد أهل الكتابين التي نُقرُّهم عليها أشد من المحذور في أعياد أهل الجاهلية التي لا نقرهم عليها، فإن الأمة قد حُذِّروا مشابهة اليهود والنصارى، وأخبروا أن سيفعل قوم منهم هذا المحذور، بخلاف دين الجاهلية، فإنه لا يعود إلا في آخر الدهر عند اخترام أنفس المؤمنين عموما، ولو لم يكن أشد منه، فإنه مثله على ما لا يخفى، إذ الشر الذي له فاعل موجود يُخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضى له قوي ".اهـ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة.."رواه مسلم .

قال شيخ الإسلام بعد هذا الحديث: "فإذا نحن شاركنا في عيدهم يوم السبت أو عيدهم يوم الأحد خالفنا هذا الحديث، وإذا كان هذا في العيد الأسبوعي، **فكذلك في العيد الحولي إذ لا فرق**" الاقتضاء 168.

وقال رحمه الله "...ومن ذلك ما يفعله كثير من الناس في الشتاء أثناء كانون الأول لأربع وعشرين خلت منه، ويزعمون أنه ميلاد المسيح عليه السلام، فجميع ما يحدث فيه: هو من المنكرات، مثل إيقاد النيران، و إحداث الطعام، واصطناع شمع وغير ذلك، فإن اتخاذ هذا الميلاد عيدا هو دين النصارى، وليس لذلك أصل في دين الإسلام، ولم يكن لهذا الميلاد ذكر أصلا على عهد السلف الماضين، بل أصله مأخوذ عن النصارى، وانضم إليه سبب طبيعي، وهو كونه في الشتاء المناسب لإيقاء النيران ولأنواع مخصوصة من الأطعمة،..وكما لا يُتَشبه بهم في الأعياد، فلا يعان المسلم المتشبه بهم في ذلك، بل يُنهى عن ذلك، فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تُجب إجابة دَعوتِه.

ومن أهدى للمسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات غير هذا العيد لم تقبل هديته، خصوصا إن كانت الهدية مما يستعان بها على التشبه بهم..، ولا يبيع المسلم ما يستعين المسلمون على مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس ونحو ذلك لأن في ذلك إعانة على المنكرات" الاقتضاء 194.

ومما يبين أن السلف كانوا يحرصون أشد الحرص على نبذ مثل هذه الأعياد المخالفة للشريعة، ما ذكره شيخ الإسلام في الكتاب نفسه تحت فصل: **النهي عن موافقة الكفار في أعيادهم**

(ص 170): قال رحمه الله: "وأما الإجماع والآثار فمن وجوه:

... الثاني :أنه قد تقدم في شروط عمر رضي الله عنه التي اتفقت عليها الصحابة وسائر الفقهاء، بعدهم: أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وسموا الشعانين والباعوث، **فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها، فكيف يسوغ للمسلمين فعلها؟** أوليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها، مظهرا لها؟ . اهـ

قال السيوطي في "الأمر بالإتباع": "ومن البدع والمنكرات مشابهة الكفار وموافقتهم في أعيادهم ومواسمهم الملعونة".

قال صلى الله عليه وسلم "...وكل بدعة ضلالة".

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "ولكن يجب أن يعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة".

و ختاما أقول يا أيها المسلم إن لم يرقك هذا الطرح من الآيات والأحاديث وإجماع الصحابة والعلماء ولازالت نفسك تتوق للحلوى والسهرات وإيقاد الشموع والفرح بما يسخط الله، فإني أسألك بالله أحين تنتظر آخر ساعة من العام أيفرح قلبك وتهنأ نفسك، وأنت توقن أن هؤلاء الذين تفرح لفرحهم:

هم اللذين يذبحون أباك وأخاك ويغتصبون أمك وأختك في أراضي العراق وفلسطين والشيشان وغيرها من بلاد المسلمين.

وهم اللذين أعلنوها نهارا جهارا حربا عليك وعلى كل مسلم.

قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة 22.

ثم اعلم أخي أن الله مطلع عليك في هذه الليلة، فاحرص على أن يجدك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك. اهـ

زينب إسدرام

بلغـوا عني ولو آيـة

إن الناظر في علاقاتنا الاجتماعية في هذا العصر يجد فيها مصالح شخصية وأغراضا دنيوية، فتجد مثلا أن الشخص لا يلقي السلام إلى على من يعرفه، ولا يصاحب صديقا إلا لقضاء مصلحة، ولا يحب أخا إلا لمنصبه أو لماله أو لشرفه، بل لا تجد التناصح إلا من أجل المصالح فتجد الأستاذ لا يعلم تلاميذه إلا من أجل أخذ واجبه الشهري، والغريب في الأمر أن تجد أئمة في بعض المناطق ليس لديهم غرض في إمامتهم إلا لكسب قوت يومهم لا غير (إلا من رحم الله) ناسين أو متناسين الدور المنوط بهم في الدعوة والوعظ والإرشاد.

وحتى لا نحمل للأئمة وحدهم مسؤولية الدعوة إلى الله، يجب أن نجيب على سؤال أراه يهم كل الناس بمختلف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ما داموا مسلمين: "ماذا قدمت لهذه الأمة؟"، أيها الأخ الكريم وأيتها الأخت الفاضلة ماذا قدمتم لهذه الأمة الإسلامية؟ صحيح أننا وإياكم -إن شاء الله- من خير أمة أخرجت للناس، لكن بماذا نفعتم هذه الأمة. قال الله عز وجل: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

نعم أنا وأنتَ وأنتِ من أمة خيرة، لكن هل أمرت بمعروف ونهيت عن منكر، اسأل نفسك أخي الحبيب كم مرة أمرت عاقا بطاعة والديه ونهيت مدخنا بالإقلاع عن هذه العادة السيئة، وأسألك أختي المسلمة كم مرة نصحت متبرجة بلبس الحجاب ونهيت أخرى وذكرتها بيوم الحساب؟ جميعنا يحب الرقي والازدهار وكلنا لا نرضى الدنية والدمار، لكن بأسباب عدة وصلنا إلى ما لا نرضاه وابتعدنا عما نحب، أصبح لدينا التطور هو المباهاة بالغرب والتقدم هو ترك ما فرضه الله عز وجل وأمر به حتى إن من الناس -هداهم الله- من يقول: "الناس قد وصلوا إلى القمر وأنتم لازلتم تصلون"، وفي اعتقادهم أن الوصول إلى القمر أحب عند الله من الركوع والسجود له عز وجل كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

إن الباحث فينا عن الحقيقة سيجد أن الطاعات التي أمر بها الله تعالى أساس كل رقي وازدهار وان خلاف ما قد نهى الله عنه سبب كل دنية ودمار، ولا شك في ذلك إذ إن الإسلام باعتباره آخر رسالة سمائية صالح لكل زمان ومكان، مهما تطور العالم وتقدم، مهما تطورت العلوم، مهما بلغ مستوى حياتك أخي ومهما بلغ جمالك أختي، فإن الإسلام صالح لك وضابط لحياتك اليومية فبه ارتفع شأن سلفنا الصالح وعلت همته.

لا تسوِّفوا في الدعوة إلى الله، بل اتركوا الأعذار والعراقيل، قد تقول إنك أيضا عاص فكيف تدعو إلى الله؟ أو تقول إنك لم تبلغ مرتبة في العلم تمكنك من دعوة غيرك؟ لكن اعلم أننا كلنا خطاءون وكلنا ذاك الشخص العاصي ولكن خير الخطائين التوابون.

إعلم أخي أننا نتحدث عن الدعوة إلى الله وليس عن إعطاء وإصدار الفتاوى، فلا تنتظر أن يكون لك علم غزير وبحر وفير حتى تدعو إلى الله فالرسول الأمين صلى الله عليه وسلم يقول: "بلغوا عني ولو آية"، إذن لا يسعك أيها الفاضل إلا أن تبلغ ما تعرفه وتنشر ما لديك عليه أدلة وحتى إذا أردت نقل فتوى عن أحد المشايخ، فاعلم عمن تأخذ العلم أولا ثم حافظ على مصدر الفتوى وتذكر أن الأساس هو الحكمة والثبات، قال تعالى: "أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

إذن أخي الفاضل اتق الله تعالى إن الله يثبتك في دعوتك إليه، وتدارك المأساة، واطلب من الله الحليم الكريم الثبات ينير لك طريق الخيرات. ابتسم في وجه من تدعوه إلى الله ولا تكن عبوسا، ولا تفكره في مأساته لكن شجعه لينسى معاناته ويستجيب لطلبك ودعوتك. فالواجب علينا جميعا أن ننطلق إلى العلا ونأخذ الدعوة إلى الله بكل جدية وحماس وبالحكمة والتفاهم مع من ندعوه إلى ديننا الحنيف والله ولي التوفيق وهو الهادي لمن يشاء إلى صراطه المستقيم.

محمد أيت سيدي امحمد

مخططات اقتسام النفط العراقي

دينا آيت لحسن
أستاذة مبرزة في الاقتصاد

انقشع غبار الحرب، وظهرت النوايا الأميركية الخاصة بنهب النفط العراقي، لتغطية تكاليف الحملة العسكرية الباهظة التي شنتها الآلة العسكرية الأميركية في مارس 2003 بزعم تخليص الشعب العراقي من ظلم الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

المزاعم الأميركية وإن كانت عددا من الأصوات العربية والدولية قد كشفتها قبيل إعلان الحرب على العراق، إلا أن شهر نوفمبر الجاري سجل شهادة من دوائر الأبحاث الأميركية والبريطانية حول ما يدبر للنفط وللثروات العراقية في الخفاء.

حيث حذرت مجموعة من مراكز الأبحاث الأميركية، العراق من أنه سيخسر مليارات الدولارات، من خلال صفقات استكشاف النفط، التي يتم التفاوض بشأنها حاليا بين "الحكومة العراقية!!"، وشركات النفط العالمية.

وقالت المجموعة أن خسائر العراقيين قد تصل إلى 194 مليار دولار، في شكل عائدات ضائعة، إضافة إلى أنها ستؤدي إلى تحويل أكثر من ثلثي احتياطي النفط العراقي، ليكون تحت سيطرة الشركات الأجنبية غالبيتها (أميركية وبريطانية).

وأوضح "ستيف كريتزمان" من مجموعة "أويل تشينج إنترناشيونالس وأحد المشاركين في نشر التقرير الذي صدر في لندن أواخر شهر نوفمبر الماضي: "إن الأمر باختصار هو أن من سيربح السيطرة على النفط العراقي هو الولايات المتحدة وبريطانيا وشركاتهما النفطية".

وجاء في التقرير الذي حمل عنوان "تصاميم فجة: تجريد العراق من ثروته النفطية" أن العراق قد يتكبد خسائر طويلة الأمد تصل إلى مئات مليارات الدولارات إذا ما قام بتسليم السيطرة على ثروته النفطية إلى شركات النفط متعددة الجنسيات من خلال عقود طويلة الأجل لتقاسم الإنتاج.

وأظهرت الأرقام الواردة في التقرير، الذي أعده خبراء من مؤسسات "بلاتفورم" و"نيو ايكونوميك فاوندد يشن" و"ووراون ونت" في المملكة المتحدة، مع منتدى "دراسات السياسة وتغييرات النفط العالمية" في الولايات المتحدة، إن التكلفة المقدرة التي سيتحملها العراق خلال فترة سريان عقود تقاسم إنتاج النفط تتراوح ما بين 74 مليار و194 مليار دولار، مقارنة فيما لو ترك تطوير النفط في يد القطاع العام.

النهم الأميركي البريطاني على الكعكة العراقية يمكن فهمه، أولا من خلال الإستراتيجية الأميركية الخاصة بالتعامل مع النفط العراقي خاصة والخليجي بصفة عامة، والأمر الثاني يتعلق بتكاليف الحرب التي تجاوزت 100 مليار دولار خلال العام الجاري فقط.



المخطط الأميركي للسيطرة على منابع النفط في العراق والخليج كان يهدف أولا إلى منع حتى إمكانية التفكير في استخدام سلاح النفط ضد أميركا أو "إسرائيل"، خاصة وأن القوات الأميركية ستكون رابضة فوق مياه الخليج وحول آبار البترول للدفاع عنها.

كما أن سيطرة واشنطن على منابع النفط سيعطيها القدرة على تحديد كميات الإنتاج وكميات التوريد وأسعار النفط، ما يجعل عمليات النمو الاقتصادي في الدول الأخرى مرهونة بالإرادة الأميركية بشكل غير مباشر.

النزيف الأميركي في العراق

الأمر الثاني الذي يمكن من خلاله فهم طبيعة المخطط الأميركي الذي كشفته الدوائر البحثية في شهر نوفمبر الماضي، يتعلق بالنزيف الاقتصادي الأميركي في العراق، حيث بلغت التكلفة العسكرية الأميركية نحو 100 مليار دولار مع نهاية العام الجاري، وهو الأمر الذي يفوق التوقعات التي سادت في مستهل الحرب، والتي بنت تصوراتها على نتائج حرب "تحرير الكويت!!" التي لم تتجاوز تكلفتها 91 مليار دولار.

وحسبما أفادت صحيفة "واشنطن بوست" فأن "دوف زاخيت" المسؤول المالي في وزارة الدفاع الأميركية كان قد توقع في مستهل الحرب أن تصل تكلفة عمليات ما بعد المعارك العسكرية إلى 2,2 مليار دولار شهرياً، إلا أنه مع نهاية العام الجاري فإن كلفة الحرب في العراق وصلت إلى خمسة مليارات دولار شهرياً، وذلك وفقاً لتقديرات المراقب المالي السابق للكونغرس الأميركي، وهو الأمر الذي جعل الميزانية مرشحة لعجز تصل قيمته لنحو 600 مليار دولار، كما يتوقع أن يستمر الانخفاض الشديد في سعر الدولار في الأسواق العالمية مقابل العملات الرئيسية مثل "اليورو" و"الين".

حروب البترول الصليبية

فيما يتعلق بالشق الأول فإن سلاح النفط لعب دورا بارزا في حرب أكتوبر 1973م عندما هددت الدول العربية خاصة الخليجية بقطع النفط عن الدول المساعدة لـ"إسرائيل"، وهو الأمر الذي دفع وزير الخارجية الأميركي السابق "هنري كيسنجر" لوضع مخطط عسكري للسيطرة على منابع النفط.

المخطط الأميركي للسيطرة على منابع النفط أو "حروب البترول الصليبية" على حد وصف الباحث العربي "عبد الحي زلوم"، كانت في حاجة إلى حدث عظيم بحجم هجمات الحادي عشر من سبتمبر للخروج بها إلى النور، وذلك كما ذهب "زبجنيو بريجنسكي" مستشار الأمن القومي الأميركي في إدارة الرئيس الأميركي السابق "جيمي كارتر" في كتابه "رقعة الشطرنج العظيمة".

مصطلحات اقتصادية

الهامش: تسهيلات مالية يقدمها الوسيط المالي مقابل ضمانات، ويستخدم لزيادة كمية الاستثمار.

القيمة السوقية: القيمة الفعلية للشركة في السوق. وتقاس بعدد الأسهم العادية المستحقة مضروبا في سعر السهم الحالي.

سعر السوق: آخر سعر تداول للورقة المالية في السوق، أي بمعنى آخر هو السعر الحالي للورقة المالية.

قياس مخاطرة السوق: مدى تغير سعر السهم بالنسبة إلى السوق بشكل عام، وتقاس مخاطرة السوق بواسطة عامل

التوقيت الأمثل للاستثمار: مصطلح لوصف قرار استمرارية الاستثمار، مثل مغادرة السوق كليا عند هبوط الأسعار ومن ثم إعادة الاستثمار عندما ترتفع الأسعار.

الاستحقاق: التزامات مستحقة تجاه ورقة مالية ويتم دفعها بتاريخ محدد.

تاريخ الاستحقاق: تاريخ دفع المستحقات والالتزامات على الورقة المالية.

السياسة النقدية: سياسة حكومية يصدرها وينظمها البنك المركزي وذلك بهدف مراقبة معدلات الفائدة والتدفقات المالية.

صندوق استثماري: محفظة استثمارية تتم إدارتها بواسطة جهة مالية متخصصة. ويشتمل على أسهم وسندات واستثمارات أخرى تقسم إلى حصص مملوكة للمستثمرين قابلة أسعارها للتغير حسب حركة السوق.

جريـدة السبيـل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبـراهيم الطـالب

هيئة التحرير:
رشيـد مومن الإدريسي
نبيـل غـزال
علـي نجـم

الهاتف: 17-17-78 (037)
البريد الإلكتروني
Assabil1@yahoo.fr

العدد 06 - 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

تسلية وترويح

قال أنا

دخل الحسن بن أبي المشرف على الفضل وزير الخليفة المعتصم، فقال له الفضل: يا حسن، نحتاج إلى رجل جزلٍ في رأيه، متوفّر لأمانته، متصرّف في الأمور بتجربته، مستقدر على الأعمال بعلمه، تصف لنا مكانه، وتشير علينا به فنقلّده جسيماً من عمل.

فأجابه الحسن سريعاً قال :وجدتُه لك، أصلحك اللّه.

قال: من هو؟

قال: أنا.

فتبسّم الفضل وقال: هذا القول من غيرك فيك أحسنُ منه بلسانك لك، نعود وننظر إن شاء اللّه ! من رسالة "ذم أخلاق الكُتّاب" للجاحظ.

لا تعُد إلينا

مرض عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه رجل يعوده في مرضه، فسأله عن علّته. فلما أخبره قال: مِن هذه العلة مات فلان، ومات فلان.

فقال له عمر:إذا عُدْتَ المرضى فلا تنْع إليهم الموتى، وإذا خرجتَ عنا فلا تعُدْ إلينا.

أنت لها

استعمل معاويةُ عبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد على الجيش وقد جاشت الروم، وكتب له عهدًا، ثم قال له: ما تصنع بعهدي هذا.

قال: أتَّخذه إماماً فلا أتجاوزه.

قال معاوية: ردَّ عليَّ عهدي، وعزله.

ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي، فقال له: قد ولّيتك الجيش وهذا عهدي، فما أنت صانع به .

قال: أتّخذه إماماً ما وافق الحَزْم، فإذا خالفَه خالفتُه وأعملتُ رأيي.

قال معاوية: أنت لها!

من كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني.

أتعرفني؟

خرج الحجاج يوماً إلى ظاهر الكوفة منفردا، فرأى رجلاً أعرابياً فقال له: ما تقول في أميركم؟

قال: الحجاج؟

قال: نعم.

قال الأعرابي: عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين!

فقال الحجاج: أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا الحجاج.

فقال الأعرابي: وأنت، أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا مولى بني عامر، أُجَنُّ في كل شهر ثلاثة أيام، وهذا اليوم هو أشَدُّها! فضحك الحجاج من قوله وتركه.

من كتاب "سرح العيون" لابن نُباتة.

الاعتــدال

ذهب رجل إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه، يشكو ألماً في أسنانه، على صغر سِنِّه، وكان الإمام، مع كبر سنه، يتمتع بأسنان كاملة سَليمة، لم يشك ألماً بها قط.

قال الرجل: أيها الإمام الأعظم، خبرني عن سبب تمتعك بأسنانك كاملة.

فقال له الإمام: يا هذا، أعضاء الله حفظناها في الصغر، فحفظها لنا في الكبر.

أحسنت!

دخل رجل على ابن شبرمة القاضي ليشهد في قضية، فقال له ابن شبرمة: لا أقبل شهادتك.

قال: ولِمَ؟

قال: بلغني أن جاريةً غنّت في مجلسٍ كنتَ فيه، فقلتَ لها: أحسنت!

قال الرجل: قلتُ لها ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟

قال: حين سكتت.

قال: إنما استحسنتُ سكوتَها أيها القاضي، فَقَبِلَ شهادته. من كتاب "الكشكول" لبهاء الدين العاملي.

حكم ومواعظ

من كلام الإمام بن الجوزي

تلبيس إبليس

رأيت إبليس قد احتال بفنون الحيل، على الخلق وأمال أكثرهم عن العلم الذي هو مصباح السالك، فتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل وشغلهم بأمور الحس ولا يلتفتون إلى مشورة، فإذا ضاق بأحدهم عيشه أو نكب اعترض فكفر، فمنهم من ينسب ذلك إلى الدهر والدنيا لا يفعلان وإنما هو عيب للمقدر، -ومنهم من يخرجه الأمر إلى جحد الحكمة- فيقول: أي فائدة في نقض المبنى، وزعم بعضهم أنه لا يتصور عود المنقوض وأنكروا البعث.

العقل

العاقل يدير بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق وقلل العلائق واستعمل القناعة فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين.

صفاء البصيرة

قد جاء في الأثر: أرنا الأشياء كما هي وهذا كلام حسن غاية الحسن، وأكثر الناس ما يرون الأشياء بعينها فإنهم يرون الفاني كأنه باق ولا يكادون يتخايلون زوال ما هم فيه وإن علموا ذلك، إلا أن أعين الحس مشغولة بالنظر إلى الحاضر، ألا ترى زوال اللذة وبقاء إثمها ولو رأى اللص قطع يده هان عنده المسروق، فمن جمع الأموال ولم ينفقها فما رآها بعينها إذ هي آلة لتحصيل الأغراض لا تراد لذاتها، ومن رأى المعصية بعيني الشهوة فما رآها إذ فيها من العيوب ما شئت ثم ثمرتها عقوبة آجلة وفضيحة عاجلة.

حسن العشرة

رأيت كلاب الصيد إذا مرت بكلاب المحلة نبحتها هذه وبالغت وأسرعت خلفها وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على ذلك، -ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت إليها ولا تعيرها الطرف ولا تعد نباحها شيئاً فرأيت أن كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب، لأن تلك غليظة البدن كثيفة الأعضاء لا أمانة لها وهذه لطيفة دقيقة الخلقة ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة، وأنها تحبس الصيد على مالكها خوفاً من عقابه، أو مراعاة شكر نعمته عليها, فرأيت أن الأدب وحسن العشرة يتبع لطافه البدن وصفاء الروح، وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعد شيئاً إذ هو في واد وذاك في واد.

معلومـات عامة

- **أضف إلى معلوماتك**

- وصف النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

وكان أزهر اللون ولم يكن -بالآدم ولا الشديد البياض.

و كان شعره ليس بالسبط ولا الجعد و شعر رأسه يضرب إلى شحمة أذنيه لم يبلغ، شيبه عشرين شعرة بيضاء في رأسه ولا في لحيته.

وكان واسع الجبهة أزج الحاجبين، سابغهما.

أهدب الأشفار مفلج الأسنان.

كثّ اللحية و كان يعفي لحيته و يأخذ من شاربه.

و كان عظيم المنكبين بين كتفيه خاتم النبوة.

و كان يمشي الهوينا كأنما يتقلع من الصخر.

- **معلومات عامة**

- يتعين على معدة الإنسان أن تفرز بطانة مخاطية جديدة كل أسبوعين وإلا فإنها ستهضم نفسها.

- كان المصريون القدماء يستعملون براز التماسيح كوسيله لمنع الحمل.

- العضوان الوحيدان في جسم الإنسان اللذان لا يتوقفان عن النمو طوال الحياة هما الأنف والأذنان .

- القطط لا تستطيع أن تتذوق المواد السكرية.

- النعامة لا تدفن رأسها في الرمال هربا من الخطر بل بحثاً عن الماء.

- سم أفعى الكوبرا قوي للغاية إلى درجة أن من يلمسه لبعض الوقت يصاب بنوبة إغماء حادة.

- علم دولة الفلبين هو العلم الوحيد في العالم الذي يتغير ترتيب لونيه وفقا لحالة الحرب أو السلام التي تعيشها الدولة ففي حال الحرب يكون اللون الأحمر في الأعلى واللون الأزرق في الأسفل أما في حال السلم فيكون معكوسا.

- كان الرومان يذبحون عددا من الكلاب لاعتقادهم أن ذلك كان يساهم في ضمان غزارة محصول القمح.

- يتميز الحصان العربي الأصل بأن عدد فقرات عموده الفقري يقل بفقرة واحدة عن فقرات أي نوع أخر من الخيول.

- تحتوي يد الإنسان على نوعا مختلفا من الأوتار العضلية ذات الوظائف المختلفة.

- العاصمة المنغولية أولان باتور هي أبرد عواصم العالم على الإطلاق.

- إناث الضفادع لها أسنان في حين أن الذكور لا أسنان لها .

- وزن عظام الحمامة يقل عن وزن ريشها.

- يتسبب الذباب المنزلي في نقل نحو 30 مرضا معديا مختلفا إلى الإنسان .

- أكدت نتائج دراسات طبية ان كل سيجارة يدخنها الشخص تقتطع نحو 10 دقائق من عمره المفترض.

العدد 06 . 1 ذو الحجة 1426 الموافق لـ 01 يناير 2006

الأخيرة

خوف الصحابة من الله

من تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف. ونحن جميعا بين التقصير بل التفريط والامن، فهذا الصديق-رضي الله عنه- يقول: "وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن"، ذكره أحمد عنه.

وذكر عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد، وكان يبكي كثيرا ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا".

وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل.

وأتي بطائر يقلبه ثم قال: "ما صيد من صيد، ولا قطعت شجرة من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح"، وقال: "والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد".

وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: "ليتني خضرة تأكلني الدواب".

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى قوله: "إن عذاب ربك لواقع" فبكى وإشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

وقال لابنه وهو في الموت: "ويحك ضع خدي على الأرض، عساه أن يرحمني ثم قال: بل ويل أمي إن لم يغفر الله لي ثلاثا"، ثم قضى.

وكان يمر بالآية في وِرْدِه بالليل فتخيفه، فيبقى في البيت أياما يعاد، يحسبونه مريضا، وكان في وجهه –رضي الله عنه– خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصر الله بك الامصار، وفتح بك الفتوح، وفعل فقال: "وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر".

وهذا عثمان بن عفان كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته. وقال: "لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم الى أيتهما أصير".

وهذا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وبكاؤه وخوفه. وكان يشتد خوفه من اثنتين طول الأمل، واتباع الهوى، قال: "فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما إتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولاتكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وغدا حساب ولا عمل".

وهذا أبو الدرداء كان يقول: "إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: ياأبا الدرداء، قد علمت فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه، ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل".

وهذا عبد الله بن عباس كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

وكان أبو ذر يقول: "ياليتني كنت شجرة تعضد، ووددت أني لم أخلق". وعرضت عليه النفقة فقال: "عندنا عنز نحلبها وحُمُر ننقل عليها، ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإني أخاف الحساب فيها".

وقرأ تميم الدّاري ليلة سورة الجاثية فلما أتى على هذه الآية:

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية، جعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

وقال أبو عبيدة بن الجراح: "وددت أني كبش فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي".

"الداء والدواء" لابن القيم –رحمه الله– 58-57.

الخوف من الله

مَنْ عَلِم عظمة الإله زاد وَجَلُه، ومن خاف مقام ربه حسن عمله، فالخوف يستخرج داء الغواية، ويشفي من مرض الجهالة.

الخوف يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة مكروهات، فيذل القلب ويستكين لرب الأرض والسماوات، وتتأدب الجوارح بالعبادات والطاعات، فلا يتكبر العبد ولا يحقد، ولا يحسد المؤمنين والمومنات.



قال ابن القيم رحمه الله: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيِّد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء" المدارج 554/1.

الخوف من أجل المنازل، وأنفعها للقلب، وأفرضها على العبد:

الخوف من الله تعالى من أجل المنازل، وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل عبد، قال تعالى: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} آل عمران، وقال تعالى: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} البقرة، وقال تعالى: {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} البقرة، وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة" اهـ.

وقوله: (أدلج) أي سار من أول الليل، والمعنى: أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة، خوفا من القواطع والعوائد.

وفي الحديث الصحيح -كذلك- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: "يا رسول الله، قول الله {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}المؤمنون، أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: لا، يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف أن لا يُقبل منه".

قال الحسن رحمه الله: "عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُرَدَّ عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا" اهـ.

وقال كذلك رحمه الله: "من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس، أخافه الله من كل شيء" اهـ.

حقيقة الخوف من الله:

قال الراغب في "المفردات": "الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية، والخوف من الله لا يراد به ما يخطر على البال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكفُّ عن المعاصي وتحري الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا، والخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف، قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى، قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى}طه".

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: "صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا" اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله: "سمعت شيخ الإسلام رحمه الله يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله" اهـ.

قال أحد السلف: "ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه".

وقال الحسن رحمه الله: "عجبا لمن خاف العقاب ولم يكُف، ولمن رجا الثواب ولم يعمل" اهـ.

بين الخوف والخشية:

قال ابن القيم رحمه الله: "والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}فاطر، فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية"، فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون.. فصاحب الخوف، يلتجئ إلى الهرب والامساك، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم.." اهـ المدارج.

من أقوال السلف في الخوف من الله:

- قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبا إلا خَرِبَ.

- وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها.

- وقال أحد السلف: الناس على الطريق ما لم يزل الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق.

- وقال غيره: الخوف سوط الله، يُقَوِّمُ به الشاردين عن بابه.

- وقيل: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل، فإنك إذا خفته هربت إليه.

وختاما:

قال ابن عبد البر رحمه الله: أنشد ابن الفرضي لنفسه:

أسير الخطايا عند بابك واقـف
عـلى وجل مما به أنت عـارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها
ويرجوك فيها فهو راج خائـف
ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي
ومالك في فصل القضاء مخـالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي
إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

"السير" للذهبي رحمه الله 180/17.



تعلن جريدة السبيل إلى قرائها الكرام أنها أصدرت ثاني منشوراتها

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها